أبطال الإسلام

في الحرب والسياسة

تأليف

بشير أحمد سليم الحدادي

منشيء ومحرر مجلة الرشديات

obeikandl.com

صورة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

تتطور الامم والشعوب وتتغير احوالها وتتقلب شئونها فيعلو بعضها افق السعاده ويتدهور البعض الى الحضيض الاسفل

ان الامم تسعد وتشقى كالأفراد فاذا ما سعدت الامة ارسل لها من بنيها الاذكياء من يبعث فيها روح الحياة فيحرك ساكنها ويلين جامدها ويحشر من الموتى احياء ليقودهم الى العمل فلا يلبث الشعب حتى تراه شعباً راقياً واذا ما شقيت الامة تسرب بين افرادها الجبن وامتزج بدمهم الكسل فلا يخطر ببالهم امتهم ولا يفكرون في انتشالها من وهدة الانحطاط بل يستسلمون للطواى والنوازل حتى تنخر قواها وتبيد

من ذلك يعلم ان سر رفعة الامم وتقدمها خطوات في سبيل الحياة والرقى هم افرادها العاملون الذين يقفون حياتهم لخدمة اوطانهم والذين يجاهدون في سبيل سعادتها والذين يحدثون الانقلابات التي يسطرها التاريخ بمداد الفخر والاعجاب ويتلوها على الامم جيلاً بعد جيل تخليداً لاسمائهم وتعظيماً لذكرياتهم

ترى الفذ من أولئك الافراد لا يعرف المستحيل ولا يتصور شيئاً بعيداً

عن ارادته و يرى ان الدنيا بجذافيرها لنقاد لمن اراد ان ينال السعادة التي يعلم انها حق طبعي من حقوق الحياة

أولئك الافذاذ هم الابطال الذين يهبون امتهم السيادة و يبعثون بطولتهم ما في القبور من عزة وعلياء فينشرون العلوم والمعارف ويقومون الاخلاق و يصلحون ما فسد من العادات ويحاربون جراثيم الفساد ويقطعون دابر الخمول وحين ذلك تقوى دولة العلم على دولة الجهل وتنصر الاخلاق العالية على الجمود فتقوى الأمة و يشتد ساعدها وتخرج من ابنائها الغزاة الفاتحين فيملكون ما شاءوا من البلدان وينشرون نفوذهم شرقاً وغرباً أولئك هم الابطال الذين يرفعون ذكر اممهم وشعوبهم و يبيضون صفحات تاريخها

يتلو علينا التاريخ قصص أولئك الابطال واعمالهم وما اوتوا من الذكاء والفطنة ونالوا من عز ومجد فنتشبع بمبادئهم ونكتسب من آرائهم وانه لحديث في الارواح البطولة ولنطامح الانفس الى الضرب في درب أولئك الابطال والاقدام على جلائل الاعمال

انا لنسرد على القراء في هذا الكتاب تاريخ ابطال الاسلام وحسب القارئ ما جرى على ايديهم من الاعمال التي خلدت لهم ذكرى مكللة بالاعجاب ومقرونة بالفخر حتى تشرئب نفوس اهل الغيرة الى اقتفاء اثرهم والسعي وراء البطولة فيعملون على مكانتهم و يكتسبون من هذا المدرس الكبير والاستاذ العظيم (التاريخ) تجارب طالما اتعبت الاولين وآلمت حواسهم حتى وصلوا اليها . وعظات من هذه الذكريات فتخرج منها اشعة تتسلط على القلوب فتوحي الى ذويها ان اسعوا الى تخليد ذكرى لكم

قبل ان يأتي احدكم يوم تسكت فيه اقلامه وتخمد سوامه ويمحى اثره فيمسي وكأنه لم تشرق عليه شمس

الا ان البطولة من الغايات التي يجب على كل ذي شعور راق ونفس عالية ووجدان حي ان تصبو اليها نفسه ويسلك سبل الابطال ليخدم امته وقوميته وما البطولة الا انتهاز الفرص للعمل وشغل اللحظات بما يفيد. وصرف العمر في خدمة الهيئة الاجتماعية. وما الابطال الا من البشر تحصنوا بالعزم القوي وعلموا ان الحياة الخالية من الاخطار موت وان الوقت الذي يمضي دون اكتساب فخر ليس من اجل صاحبه

الا فها هو تاريخ ابطال الاسلام يتلو من ايات البطولة ما يدهش العقول ويبث في النفوس روح الشهامة وضعته اقراء العربية خدمة للعالم الاسلامي والتاريخ نسأل الله ان يلهم الشرقيين رشداً ويمنحهم روحاً متقدة

ويحيون مجد الشرق بعد وفاته فيفدو عليا زهره بثمرع

المؤلف

زكريا احمد رشدي

(الامام عمر بن الخطاب)

هو اول من سُمي أمير المؤمنين وثاني الخلفاء الراشدين وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزيز بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لوى بن غالب بن فهر العدوي القرشي ولد رضى الله عنه في السنة الثالثة عشرة من ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولا عجب اذا بدأت بهذا الامام فهو بطل العدل و بطل الامارة ورأس المسلمين والخليفة الذي ضربت باعماله الجليلة الامثال وتناقلتها السن جميع الاقوام والتي لا زالت الامم تخرج عن طاعة امرائها في سبيل المطالبة بعدله وحكمه وتتنافس الشعوب والملوك في مجاراة اعماله واقتفاء اثر جليل اثاره وقد روى عن الامام علي كرم الله وجهه انه قال (ان الله جعل ابا بكر وعمر حجة على من بعدهما من الولاة الى يوم القيامة) وصدق ذلك وحققته الايام فقد تعب الذين اتوا من بعدهما في اقتفاء اثرهما فذكرهما حزن الامة وطعن في الأئمة الذين حكموا من بعدهما

نشأ الامام عمر نشأة عرب البداوة نشأة الشهامة والنجدة والحمية لجاهلية وكان شديد المراس ذا بأس شديد ومكانة عند العرب ولما

جاء الاسلام كان من اكبر المعارضين له ولكنه اسلم في ذي الحجة من السنه السادسه من البعثه وكان مقداماً شجاعاً فقد اتى دار الارقم بن ارقم عبد مناف التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفياً فيهـا واشار على الرسول الامين بترك الاختفاء واظهار الدين فخرج عليه السلام واظهر الدين وصار عمر بعد ذلك ينصر هذا الدين بما وهبه الله من عزيمة ماضيه وقوه عاليه و بطش شديد

ولما اذن الله بالهجرة خرج الصحابة يتسللون خفية خوفاً من كفار قريش الا عمر بن الخطاب فانه لما عزم على الهجرة جاء قريشا في ناديهم واخبرهم بعزمه على الهجره وقال (من اراد ان تثكله امه فليلقني وراء هذا الوادي) فلم يجسر احدهم على اتباعه

وقد حضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهده كلها من بدر الى تبوك حتى علم جميع الصحابه ما كان لعمر اذ ذاك من طول الباع وكثرة الجهاد وطالما اشار على النبي صلى الله عليه وسلم بأمور ينزل القرآن بها ولتوليته منصب الخلافة بعد سيدنا الامام أبي بكر ومبايعة الصحابه له يشير الى علو كعبه في الاعمال وعظيم همته

وقد قام الامام عمر بن الخطاب بما عهد اليه من امر المسلمين في خلافته فوسع نطـاق بلاد المسلمين وفتح البرس وبابل وكوثى وساباط والموصل وما سبندان واستولى على بلاد الاكاسرة وخضعها لسلطـانه وهي بلاد الفرس وضم ولايات البحرين وفتح الاهوان والسوس وهمذان واذربيجان وخرسان وكرمان وسجستان وغيرها من

بلاد الفرس ولا تخفى على احد ما كان لهذه الدوله من منعة الجانب وشدة البطش والقوة ولكن حزم الامام عمر ومهارة قواده واتحاد المسلمين وشريف مرمى الجنود المحاربة اذل ملك كسرى واوقعه في قبضة المسلمين .

ولم تقتصر فتوحاته على ذلك بل غزا دمشق وحمص وبيت المقدس وقد تم لجنوده المظفرة الاستيلاء عليها وضمها تحت لواء عدل الامام عمر بن الخطاب

هذا وقد سير القائد الكبير عمرو بن العاص الى مصر فحارب الروم وهزمهم جملة هزمات حتى استولى على القطر المصري ومما يفخر به ان الذين فتحوا مصر من الجنود كانوا اربعة الاف مقاتل من عرب البداوة ثم امدوا بضعفهم على مرتين ورغماً من قلة عدد العرب حازوا النصر واخرجوا الرومان من مصر وانقذوا الاقباط من الذل والاستعباد ومن ثم علموهم الحربه وعودوهم السياده

﴿ عدل عمر بن الخطاب ﴾

وكان هذا الامام مع اتساع ملكه وعزة بلاده زاهداً كبيراً وعادلا لم تشرق الشمس على من يناظره فيه ولأخراجه لاهل نجران لعنوان على مبلغ عدله وحكمته وحسن معاملته اذ بعث معلى بن ابيه الى اليمن وامره باجلاء اهل نجران لنقدهم ما عاهدهم عليه رسول

الله صلى الله عليه وسلم من ترك المشاجرة بالربا وقد قال له ﴿ أتهم ولا تفتنهم في دينهم ثم اجل من اقام منهم على دينه ﴿ تأمل ﴾ واقرر المسلم وامسح ارض كل من تجلى منهم ثم خيرهم البلدان ﴿ تامل ﴾ واعلمهم انا نجليهم بأمر الله ورسوله ان لا يترك في جزيرة العرب دينان فليخرج من اقام على دينه منهم تعطيهم ارضاً كارضهم ﴿ تأمل ﴾ اقرارا لهم بالحق على انفسنا ووفاء بذمتهم فيما اسر الله من ذلك بدلا بينهم وبين جيرانهم من اهل اليمن وغيرهم ﴾

هذا نموذج من وصاياه ولعمري من من الملوك الذين سبقوه في الارض والذين اتوا من بعده وعمل بهذا العدل العجيب اللهم الا (عمر بن عبد العزيز (١) فقط هو الذي حذا حذوه في عمله وعدله وليس له فضل كعمر بن الخطاب فالفضل للمتقدم

وليس تاريخ هذا البطل متوقف على الفتوحات وانما كلله بأعماله الجليله وافكاره الثاقبه التي يسعى لها ليل نهار دأب كل راع تهمه رعيته فقد وضع التاريخ الهجري وترتيبه وامر بتدوين الدواوين وفرض العطاء وامر بضرب النقود

ولو كانت كل هذه الاثار لكفت لتخليد اسمه الى الابد ولكن ما نشر عنه لا تسعه مجلدات كبيرة ونذكر لك مثالاً ينم عن علو اخلاقه وحبه للصراحة والتواضع

(١) سنأتي على اعماله واثاره انشاء الله

كان رضي الله عنه متوجهاً للشام فاخبر ان بها وباء فجمع الصحابة مستشيراً أيمضي لوجهه ام يرجع فاختلفوا عليه ثم احضر مهاجرة الفتح من قريش فلم يختلفوا عليه بل اشاروا بالعودة فنادى عمر في الناس (اني مصبح على ظهر) فقال ابو عبيد افراراً من قدر الله (تامل الصراحة التامة ومعارضة امير المؤمنين)

فقال عمر (نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ارأيت لو كان لك ابل فهبطت واديان عدوتان احداها مخصبة والاخرى جدبة اليس ان رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وان رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله)

هذا وكان رضى الله عنه يتجسس على رعيته ليقف على حقيقة امرهم فيعين الضعيف وينصر المظلوم على القوي ويرد المظالم وغير ذلك كما هو شأن الساهر على رعيته المتفقد احوالها

والله اعلم ان ما ذكر قليل من كثير من اعمال واثار وفتوحات هذا الخليفة الذي اعز الاسلام ونشر هذا الدين القيم ولهذه العزة والمنعة التي البسها الامام عمر بن الخطاب الى دولة الاسلام تعد من المعجزات فمن سمع او قرأ في تاريخ الامم قاطبة ان مملكة عظمى تشاد من لا شيء على ايدي رجال بداوة لم يخطر لهم فتح او غزو او نشر مدنية او بناء مملكه

***

(سياسة الامام عمر)

واذا نوهنا تنويهاً عن حزم الامام عمر رضي الله عنه ودهائه السياسي وبعد نظره في مواقع الامور لا نرى ندحة من الاشارة الى سياسته في رعيته وعدله فيهم وقد اصبحوا اخلاطاً من امم شتى ومذاهب مختلفة واغراض متباينة فرأى رضى الله عنه ان يشدد في معاملته لهم عند الحاجة مع نزوعه الى الشورى خوفاً من ان تخرج القوم عن حدود الاسلام وقيود الاخوة والعود الى الفرقة والشقاق والعصبيه المضرة وقد كان رضى الله عنه بطبعه يعامل أولئك الاقوام بالشدة والارهاب لما كان يتوقعه من حصول الغش والدسائس

ولو لم تقابل شدته اغراقه في العدل واكثاره في البذل وحكمته في وضع الثواب في محله والعقاب متى لا متاص منه كما انه لو لم يصرف العرب الى الغزو لحاربوا بعضهم بعضاً وقد عودهم بذلك الطاعة للرئيس وخفض الجناح لمن هو ارق منهم فيما لا يكون فيه هضم لحقوق الدين ومنفعتهم ولا مساس للحرية ولا الحجر ولا التمييز بين الطبقات وهذا منتهى الحكمة والعدل

هذه سياسته في رعيته اما عدله فما لا يدخل تحت حصر ويعجز اولوا الباع في العد والحساب عن حصره وبيانه وايضاحه وكفى انه اصبح مضرب الامثال حيث كان يبث العيون والارصاد حتى لا ينال احد الرعية مظلمة ومما كان يقوله لمن يوليهم (اني لم اسلطكم على دماء المسلمين ولا على اشعارهم ولا على ابشارهم ولا على اعراضهم ولا على

اموالهم ولكني بينكم تقيمون بهم الصلاة وتقسمون بينهم بالحق فان اشكل عليكم شيء فارفعوه الي الا فلا تضربوا العرب فتذلوها ولا تخمروها فتمقروها ولا تقتالوا عليها فتحرموها جودوا القرآن)

هذا وقد سمع ملك الروم حكمة هذا البطل الكبير فكتب اليه يسأله عن سر تقدمه وحكمته التي سيدته على كل هؤلاء الشعوب وهاتيك الممالك فاجاب (احب للناس ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لها تجتمع لك الحكمة كلها واعتبر الناس بما يليق تجتمع لك المعرفة كلها) ولما بلغت هرقل هذه الكليات قال (الآن قد عرفت السر الذي ساد به امام المسلمين على العالمين)

***

(مقتل الامام عمر)

كسب رضاء الناس غاية لا تدرك فمن كان يظن ان عمر بن الخطاب لا يكتسب رضاء احد رعاياه وهو كما علم للعالمين اعدل الملوك الذين حكمت في الارض الا ان تلك محنة الدهر فقد جاء غلام المغيره ابو لؤلؤه المجوسي وطعن الامام عمر طعنة في كتفه ثم اثنى في خاصرته وذلك لانه شكى اليه مولاه فقال عمر اتق الله واحسن الى مولاك فهاج ذلك الغلام الشرير وقال وسع الناس كلهم عدله غيري

وكانت وفاته يوم الاربعاء لاربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ٢٣ﻫ ودفن يوم الاحد هلال المحرم سنة ٢٤ﻫ وكانت خلافته عشر سنين وخمسة اشهر وعشرين يوماً وكان له من العمر ثلاثة وستون سنة

خالد بن الوليد

اذا افتخر اليونانيون بالاسكندر والرومانيون بقيصر والقرطاجيون بهانبال والروسيون ببطرس الاكبر والفرنسيون بنابليون فللعرب الفخر الاكبر بالبطل الكبير سيف الله خالد رجل السياسة والحرب ابن الوليد بن المغيره ابن عبد الله الذي ينتهي نسبه الى لؤى بن غالب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان خالد احد من انتهى اليهم الشرف قبل الاسلام حتى انه كان مع المشركين في وقائع بدر واحد والخندق ولم يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم الا بعد الفتح من الوقائع وقد كان في قومه موصوفاً بالشجاعة محبباً فيهم مقدماً عندهم بالحروب موفقاً للنصر عارفاً باصول الحرب حائزاً على صفات الجندية التي يلازمها في الغالب خشونة الطبع وعنفوان الشجاعة والاخذ بالشدة والتسرع الى المعاقبة

﴿ اسلامه وصحبته ﴾

اسلم خالد وحسن اسلامه في العام الثامن الهجري وقد بذل نفسه

للجهاد فأثر المآثر المحمودة وفي هذه السنة شهد غزوة مؤتة واخذ الرايه بعد قتل ابن رواحه وقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم سيف الله بعد هذه الواقعه حيث دافع عن المسلمين دفاع الابطال وعاد بهم والظفر يرفرف على رؤوسهم ثم شهد معركة فتح مكة وامره فيها النبي صلى الله عليه وسلم ان يدخل من اسفل مكة من الليط ومعه اسلم وغفار وقبائل من العرب فدخل ولقي كفار قريش فقاتلهم وهزمهم بعد ان قتل منهم ثلاثة عشر رجلاً

ولما فتحت مكه واذل الله قريشا لرسوله وقد كانوا اشد العرب عداوة له وايذاء لاصحابه وحائلاً دون دعوته بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو من حول مكه من العرب الى الاسلام وكان خالد من الدعاة فتوجه الى بني جذيمه وكان داعياً لا مقاتلاً فنزل على ماء لجذيمه فاقبلوا بسلاحهم فقال لهم ضعوا السلاح فان الناس قد اسلموا فوضعوا السلاح فأمر بهم فكتفوا ثم عرض السيف وقتل منهم جماعة فلما انتهى الخبر الى النبي صلى الله عليه وسلم رفع يديه الى السماء ثم قال (اللهم اني ابرأ اليك مما صنع خالد) ثم ارسل علياً ومعه مال فودى لهم الدماء والاموال ثم اعتذر خالد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان عبد الله بن حذافة السهمي امرني بذلك عن رسول الله

وفي هذه السنة هدم خالد (العزى) ببطن نخله وكان بيتاً عظيماً لمضر تعظمه قريش وكنانة فهدمها خالد وقال

(عز كفرانك لا سبحانك اني رأيت الله قد اهانك)

وكان خالد على مقدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين في

بني سليم فجرح خالد فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم وارسله بعد ان برأ الى اكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل فأسره واخذ منه (قباء مذهب) واحضره عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فصالحه على الجزية ورده الى بلده

وفي سنة ١٠ هـ ارسل الى بني الحارث بن كعب بن مزجح بنجران وامره ان يدعوهم الى الاسلام فان اجابوا يقيم فيهم و يعلمهم شرائع الاسلام وان ابوا يقاتلهم فخرج خالد حتى قدم عليهم و بعث الركبان يضربون في كل وجه و يدعون الناس الى الاسلام فأسلموا وكتب بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه الرسول عليه الصلاة والسلام يستدعيه ومن يريد الوفود معه من القوم فأقبل واقبل معه الوفد وفيهم قيس بن الحصين بن يزيد بن قتان ذي الغصه وغيره

ولم يزل خالد مدة صحبته يجاهد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم و يكافح اعداء الاسلام ويحرض على رضاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى توفى الرسول الامين وكان له بعد من جميل الاثر في قتال اهل الردة وفتوح البلدان العظيمة ما يدعو كل مطلع على تاريخه للاعجاب بهذا البطل والاكبار به

﴿ خالد في عهد ابي بكر ﴾

اول عمل قام به ابو بكر الصديق رضى الله عنه بعد وفاة المصطفى صلى الله عليه وسلم هو حرب المرتدين ومانعي الزكاة فكان البطل خالد

ابن الوليد عضده ومساعده في ذلك اذ امره ابو بكر بالتوجه الى طيء فتوجه اليها فقابله عدي واخبره بأسلامهم ثم عزم على قصد طليحه الذي ادعى النبوة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل ان يصل ارسل عكاشه بن محصن وثابت ابن اقرم الانصاري طليعة فلقيهما حبال اخو طليحه فقتلاه فخرج طليحه بعد ان علم ذلك ومعه اخوه فقتلا عكاشه وثابت ولما وصل خالد وجنده وعلم ذلك نادى في قبائل طيء فقام معه عدي وجند جنداً وقصد خالد طليحة وكان معه عيينة من حصن في سبعمائة مقاتل من بني فزارة فلما اشتدت رحى الحرب وزعزعتهم صدمات المسلمين كر عيينة الى طليحة وسأله هل اتاك جبريل بشيء فقال لا . ثم رجع اليه مرات حتى قال نعم . قال عيينة فماذا قال . قال طليحة قال جبريل ان لك رحى كرحاه وحديثاً لا تنساه فضحك منه عيينة وعرف انه كذاب فأخذ قومه وتركه فلاذ بالفرار طليحة وامرأته وقال من قدر على الفرار فلينجو بنفسه

﴿ حربه مع مالك بن نويره ﴾

ثم توجه خالد بعد هزم طليحة وجيشه هزيمة (لا تنسى) ذهب الى مالك بن نويرة وكان يقدم رجلاً للأسلام ويؤخر اخرى وكان رؤساءهم اسلموا الا مالك بن نويره ولما علم قدوم خالد عليه ندم وفرق قومه في البطاح

ولما اراد خالد قصد البطاح تخلف الانصار عنه وقالوا امرنا ان لا نقاتل بعد براحه الا اذا امرنا الخليفة فقال ما يحضرنا نعمل به فأنا

قاصد الى مالك ومن معي ولست اكرهكم

ثم سار ولكنهم لحقوه اخيراً بعد ما علموا صدق فكرته الثاقبة وعلى ذلك بث السرايا في البطاح حتى جاءته الخيل بمالك بن نويره ثم امر به وبمن معه فحبسوا في ليلة باردة ثم نادى مالك دافئوا اسراكم وهي في لغة كنانة القتل فظن القوم انه اراد القتل ولم يرد الا الدفء فقتلوهم وقتل ضرام بن الأزور مالكاً وسمع خالد الواعية فخرج وقد فرغوا منهم فقال اذا اراد الله امراً أصابه

﴿ حربه مع مسيلمة ﴾

ثم قصد بعدئذٍ مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة كطليحة وقام ابن مسيلمه شرحبيل منادياً : يا بني حنيفة اليوم يوم الغيرة وقاتلوا عن احسابكم وامنعوا نساءكم فنشبت الحرب واشتد القتال ولم يرَ المسلمون حرباً اشد منها من قبل فنزعوا الى الهزيمه وانكشفوا عن فسطاط خالد ثم تداعوا وحمل خالد بالناس حتى ردوا الاعداء ابعد مما كانوا

لما رأى خالد ما الناس فيه خشي من ان ينهزم اخلاط العرب فتختل صفوف المسلمين فنادي في الناس ان امتازوا ايها الناس لنعلم بلاء كل حي ولنعلم من اين نؤتى فقاوم المسلمون بعدئذٍ مقاومة شديدة صدوا بها جيش مسيلمة مرات كثيرة غير ان خالد رأى ان الحرب لا تنتهي الا بعد قتل مسيلمة فطلبه للبراز ثم حمل عليه خالد فانهزم امامه فصاح خالد بالناس فركبوا وانهزم جيش مسيلمة ثم نودي الحديقة

الحديقة فدخلها مسيلمة وجنوده وقفلوا بابها غير ان هذا لم يوقف المسلمين عن القتال فألقى احدهم نفسه داخل الحديقة فقاتل حتى فتح بابها فدخل المسلمون وقتلوا مسيلمة

وقد ظهر من المسلمين في هذه الحرب من الثبات والنجدة والصبر شيئاً كثيراً ومن مكائد خالد وحسن بصيرته في هذه الحرب امره للمسلمين ان تمتاز القبائل ليستحي الجبان من الفرار ويدافع كل لتظهر قوة قبيلته

﴿ فتح خالد العراق والشام ﴾

دخل خالد العراق وقاتل فيها قتال الشهامة والابطال فاحرز النصر وقد اخذ فلنسوة هرمز في وقعة الحفير وقد تم فيها النصر لخالد وجيشه

ثم بعد ان انتهى من العراق ذهب الى الشام واظهر فيها من الهمة العالية والحرب الدائرة ما علم عن كل بطل من الابطال وقد كان جيشه به سبعة وعشرون الف مقاتل وكان للروم مائة الف وقيل مائتي الف غير ان الحرب في بدء امرها حارب كل امير بجنده فالقوة كانت غير متحدة ولا يخفى ما في ذلك من الضعف والوهن ولما رأى ذلك خالد بن الوليد خشى من انهزام المسلمين خصوصاً من كثرة جند العدو واستعداده ان لم يقابلا من المسلمين بحزم الرأي لا يمكنهم المقاومة

ولكن جاء خالد في يوم كان هو الاخير فنادى ان هذا اليوم

يوم جهاد فاخلصوا لله فيه ولا تنظروا الفخر ولا بغي ثم اظهر لهم ان لا يمكن احراز النصر الا اذا كانوا تحت امرة قائد واحد وطلب ان يكون هو هذا القائد فسلموا له القيادة العامة وبذا هزم الرومانيين شر هزيمة

﴿ حزم خالد وتوفيقه في الحرب ﴾

قلّ ان يوجد في العالم قائد يوفق للنصر كما وفق خالد في كل وقائعه فان التاريخ لم ينبئنا عن انخذاله ولا في وقعة واحدة من وقائعه مع اهل الردة او في العراق والشام وهذا انما هو من نتائج الحزم والشجاعة والبصيرة بأمور الحرب

وروى الطبري ان خالداً لما كان مع ابي عبيدة على حصار دمشق ترك الاعداء ليلة مواقفهم على الاسوار لوليمة اعدها لهم البطريق فلم يعلم بذلك احد من المسلمين الا خالد بن الوليد فأنه كان لا ينام ولا ينيم ولما وقف على جلية الامر تقدم بنفسه مع نفر من ثقات اصحابه الى السور وصعد الى اعلاه بالسلاليم وكبر فكبر اصحابه واقتحموا الباب ففتحه لهم وبذا حازوا النصر

ومن هذا التيقظ تعلم السر في توفيقه للحرب وانتصاره على الاعداء ونفاذ الرهبة من سطوته في القلوب

﴿ وفاة خالد ﴾

اختار خالد بعد ان اتم فتوحه في العراق والشام ان يسكن الشام فاتخذ حمص مقراً له وفيها توفي سنة احدى وعشرين في خلافة عمر وقبره لم يزل معروفاً الى الان في حمص

لما حضرت خالد الوفاة قال (لقد شهدت مائة زحف اوزهاءها وما بقي بجسدي موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنه وها أنا اموت على فراشي كما يموت المير فلا نامت اعين الجبناء وما من عمل ارجو من لا اله الا الله الا الموت وانا مترس بها)

فلله ما أعظم هذه النفس التي استهانت في سبيل المجد بالحياة حتى لا تطيق الموت على فراش السكون . وتأنف ان تذوق في غير مواقف الحرب كأس المنون . ولا جرم ان جسماً ليس فيه موضع شبر الاَّ وفيه طعنة برمح او ضربة بسيف لجسم فيه نفس كبيرة

واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسام

وهذا هو السر في ان حياة الابطال العظام عزيزة طويلة وان كانت قصيرة

وقيل انه لم يبق امرأة من بني المغيرة الا جزت لمتها وحلقت رأسها على ذلك البطل العظيم الذي يحق ان تبكيه الرجال والنساء . ويذكره المؤرخون بأشرف اعماله وجليل اثاره

عمرو بن العاص

حاله في الجاهلية

كان عمرو في الجاهلية جزاراً غير انه كان يشتغل احياناً بالتجارة في الشام ومصر . وكان عالي المقام بين قومه وقد اشتهر بالدهاء والمهارة حتى انهم كان يعدونه من دهاة العرب ولعل هذا هو السر في تقدمه وفوزه واحرازه للمجد والعلى فان ذكاء المرء محسوب عليه ولآثاره جديرة بالذكر ولأعماله بلا ريب تدخله في ابطال العالم ابطال الحرب والسياسة

(اسلامه وصحبته)

اسلم عمرو في العام الثامن الهجري بعد ان تحقق دعوة الرسول الامين وشهد له بها النجاشي وايدها ما كان يخالج ضميره من النزوع الى الاسلام . ورغماً عن اسلامه متأخراً فقد كان حسن الصحبة محباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسبه فخراً ما اظهره من المهارة والهمة في فتح مصر والشام

(حروبه وفتوحاته)

لعمري ان رجلاً قد شهر بالدهاء وحسن السياسة واصابة الرأي لجدير بان يكون النصر حليفه والفوز يرفرف على رؤوس جنده لا سيما من كانت تطمح نفسه الى المجد ولا تركن الا الى العلى والسؤدد والذي ساعده ما شهر به بين قومه من الاعتماد على النفس والاقدام ولفتحه لمصر بجند قليل لمن همة وحسن دراية وعلو كعبه في الحروب

(فتح مصر)

الذي دعى عمرو الى محاربة مصر والاستئذان من امير المؤمنين عمر بن الخطاب بفتحها هو ما شاهده فيها من الخيرات حين زارها مرة في تجارة وقد علم مصادر ثروتها وكنوز درها . فأذن له عمر بن الخطاب رضى الله عنه بان يسير اليها في اربعة الاف مقاتل وكان اول موضع قاتل فيه عمرو بن العاص عند افتتاحه مصر (الفرما) وهي على مقربة من بلبيس قاتله فيها الروم قتالاً شديداً حتى فتح الله عليه بالنصر وقيل انه كان بالاسكندرية اسقف يقال له (ابوميامين) فلما بلغه قدوم عمرو الى مصر كتب الى القبط يعلمهم انه لا يكون للروم دولة وان ملكهم قد انقطع ويأمرهم بتلقي عمرو ولذا كان اهل الفرما بعد ما فتحها عمرو كانوا له اعوانا ثم اتى عمرو الى بلبيس فحاصرها حصاراً شديداً وقاتل من بها وقتل من الروم فيها نحو الف فارس وانهزم من بقي الى المقوقس واسر عمرو في جملة من اسر ابنة المقوقس (ارمانوسه) فردها اليه مكرمة مع قيس ابن ابي العاص وكان ذلك منه دهاء وسياسة ليجذب المقوقس وهو حاكم مصر

من قبل الروم الى مساعدته والتخلي عن مقاومته

ثم سار عمرو من بلبيس الى بابل او باب ليون وهو حصن كان قد شيده الفرس عند احتلالهم على مصر وكان يسميه العرب قصر الشمع وكان موقعه على الضفة الشرقية من النيل ويقابله من الجهة الاخرى مدينة نفس التي هي مقر المقوقس والعاصمة وكان فيها حاميه قويه وكان على رأسها قائد اسمه (الاعرج) وكان المقوقس مع الحاميه محاصر عمرو الحصن وحاصر من فيه وقاتلهم قتالاً شديداً ثم كتب الى عمر ابن الخطاب ليستمده فأمر له باربعة الاف مقاتل على رأس كل الف رجل وكان من بين الرجال الاربعة الزبير وكان قائداً هماماً وشجاعاً مقداماً فلما علم عمرو بقدومه تلقاه ثم اقبلا يطوفان حول الخندق ثم فرقت الرجال حول الخندق ثم حاولوا فتح الحصن والتسلق الى اعلاه فلم يصلوا الى شيء فقال الزبير انى اهب نفسي لله وارجو ان يفتح الله بذلك على المسلمين ثم وضع سلما على جانب الحصن وصعد وامر الجند انهُ اذا كبر كبروا جميعاً ولم يلبث حتى كان على رأس الحصن يكبر ومعه السيف فصعد الجميع على السلم وكبروا فلم يشك الروم ان العرب اقتحموهم جميعاً فهربوا وعمد الزبير واصحابه الى الباب وفتحوه وكان كل ذلك بعد اخذ رأي عمرو بن العاص الذي كان يراقب العمل وبشهامة الزبير وبتدبير هذا البطل عمرو بن العاص ودهائه وجرائته تم استيلاء المسلمين على هذا الحصن

رأى المقوقس شدة قتال المسلمين وصبرهم ورأى انهم لا يزالون

يقاتلون الروم والقبط حتى تصير اليهم البلاد فاستشار اصحابه في مصالحة المسلمين وبعث الى عمرو بعد اخذ ورد في الأمر حبس عمرو رسل المقوقس ليلتين ليقفوا على حال المسلمين فلما عادوا اليه اخبروه بما كمن في هذا الجيش من البسالة والاقدام والصبر وان المسلمين يريدون اما الاسلام او الجزيه اوالسيف ثم تم الصلح على ان يفرض على جميع من بمصر اعلاها واسفلها من القبط دينارين دينارين من كل نفس شريفهم ووضيعهم من بلغ منهم الحلم ليس على الشيخ الفاني ولا على الصغير الذي لم يبلغ الحلم ولا على النساء وان لم ارضهم واموالهم فشرط ذلك على جميع القبط وكان عددهم يومئذٍ ستة ملايين وكان قريضتهم اثني عشر مليونا من الدنانير

ولما علم ذلك ملك الروم ارسل يوبخ المقوقس على تسليمه كما ارسل الى قواد الروم بالاسكندريه يصف لهم المسلمين بالضعف ويشجعهم على القتال فأعادوا الكرة فحاصرهم عمرو بالاسكندرية وفتحها عنوة واجلاهم عنها

وقد تواترت الاخبار بعد ذلك عن حسن سيرة المسلمين في البلاد التي افتتحوها واطلاقهم حرية الفكر والدين

(ما فعله الروم بعد الفتح)

عز على امبراطور الروم ان يتقلص ظل سلطانه عن مصر كما غرب شمس حكومته من سوريا فحرض من في الاسكندرية على محاربة العرب وبعث بالعدة والجند ولما علم ذلك عمرو خرج الى الروم ثانيا

فسار الى الاسكندرية فلم يرَ احداً حتى بلغ مربوط فلقي فيها طائفة من الروم فقاتلهم قتالاً خفيفاً وهزمهم ومضى عمرو بمن معه حتى لقي جمع الروم بكوم شريك فاقتتلوا ثلاثة ايام ثم ولى الروم الادبار ثم (بالكربون) فاقتتلوا بضعة عشر يوماً وكان عبدالله بن عمرو على المقدمة فاصابته جراح كثيرة فجاءه رسول ابيه يسأله عن جراحه فقال

اقول لها اذا جئتُ وجاشت

رويدك تحمدي اذ تستريحي

فلما علم ذلك عمرو قال هذا ابني حقاً ثم تبعوا الروم حتى بلغوا الاسكندرية فتحصن بها الروم وكانت حصونها منيعة فأراد هرقل امبراطور الروم ان يحارب العرب بنفسه في الاسكندرية وتأهب لذلك ولكن لطمه كأس المنون ولذا حاصرهم عمرو وشدد الحصار فدخل المسلمون المدينة بعد حصار ستة شهور ولما علم عمر بن الخطاب امر الروم ما زال يبعث في كل سنة غازية من اهل المدينة ترابط بالاسكندرية وقد اقام عمرو والياً على مصر فكان مثالاً للعدل والحرية وقد جذب بمعاملته الاسلامية قلوب سكان مصر

(عمرو بعد فتح مصر)

ابت نفس هذا البطل الوقوف عند فتح مصر فتقدم بجيشه سنة ٢١ يخترق الاراضي حتى بلغ برقه فافتتحها وافتتح بنغازي ثم طرابلس الغرب ولما نوى على التوجه منها الى تونس فالجزائر ثم الغرب الاقصى جاءه امر بالوقوف عند ذلك الحد فعاد بعد ان استخلف على البلاد

بطل افريقيا عقبه بن نافع الفهري القرشي الذي صار اليه بعد ذلك فتح المغرب

(عمرو في خلافة عثمان)

لما ولي الخلافة عثمان بن عفان عزل عمرو بن العاص عن امارة مصر فجاء الى المدينة فوضعه عثمان رضى الله عنه موضع الثقة ولما اشتدت عليه الازمة دعاه في جملة من دعاهم واستشارهم فيما يصنع لاخماد نار الفتنة المستعرة فكان في جملة ما قاله عمرو بن العاص

« يا امير المؤمنين انك قد ركبت الناس بني اميه فقلت وقالوا وزغت وزاغوا فاعتدل او اعتزل فان ابيت فاعزم عزماً وامضى قدماً

فقال عثمان اهذا ما نجده منك فسكت حتى تفرقوا ثم قال والله يا أمير المؤمنين لأنت اكرم عليّ من ذلك ولكني علمت ان بالباب من يبلغ الناس قول كل رجل منا فاردت ان يبلغهم قولي فيثقوا بي فاقود اليك خيراً وادفع عنك شرا

ان ما فعله عمرو انما درب من دروب السياسة وللتأمل في هذه (الرواية) يعلم ما كان بين جنبي عمرو بن العاص من الحنكة والدرايه والنظر للعواقب ومن نظر للعواقب بعين الحذر أمن النوائب

(عمرو بن العاص بين علي ومعاويه)

قتل الامام عثمان بن عفان ظلماً ثم ولي بعده علي بن ابي طالب ولكنه لم يقتص من قتله عثمان فانقسم الناس الى قسمين قسم بايع

على الخلافة والآخر امتنع وأبى الا بعد القصاص من قتلة عثمان وكان من القسم الثاني معاوية وكان هذا بدأ انقسام المسلمين وفتح باب الضعف والخور فلما اشتد الخلاف بين الفريقين اجمع المسلمون على اخماد نار الفتنة والتقاضي لدى حكمين يختار كل فريق واحداً

ولما كان عمرو بن العاص من شيوخ قريش وكبار رجالهم في الجاهلية والاسلام وكان له مكانة كبيرة عند المسلمين لخدمته الكبيرة في فتح فلسطين ومصر وطرابلس الغرب وقد رأى ما رأى من قيام نار الفتنة والخلاف بين علي ومعاوية فلم يسعه مع حبه للرئاسة والزعامة الا انتفاع من فريق المختلفين برأيه وربما كان فيه تعجيل باطفاء نيران الفتنة وحسم الخلاف ثم نظر فرأى علياً بن ابي طالب رجل دين وورع لا يمتاز بخداع السياسة وان معاوية رجل دنيا لا يفوته الانتفاع بمثل عمرو بن العاص كما لا يفوت عمرو الانتفاع منه

وروى ابن عساكر في سبب ارتحال عمرو الى معاوية عن عبد الله بن الزبير ان الفتنة وقعت وليس رجل من قريش له نباهة اكثر من عمرو بن العاص للقيام بهذه المهمة وهي ان يكون الحكم الثاني فارسل علي ابا موسى الاشعري في اربعمائة رجل من اهل الشام فاجتمع الفريقان في دومة الجندل

ولما اجتمع الحكمان قام ابو موسى فحمد الله واثنى عليه وذكر الحدث الذي حل بالاسلام والخلاف الواقع بأهله ثم قال يا عمرو هلم الى امر يجمع الله فيه الالفة ويلم الشعث ويصلح ذات البين

فقال عمرو ان للكلام اولاً واخراً ومتى تنازعنا الكلام والخطاب لم نبلغ اخره حتى ننسى اوله فاجعل ما كان من كلام نتصادر عليه في كتاب يصير اليه امرنا قال فاكتب فدعا عمرو بصحيفة وكاتب وقال له اكتب فانك شاهد علينا ولا تكتب شيئاً يأمرك به احدنا حتى تستأمر فيه الاخر فاذا امرك فاكتب واذا نهاك فانته حتى يجتمع رأينا فاكتب

(بسم الله الرحمن الرحيم) هذا ما تقاضى عليه ابو موسى الاشعري وعمرو بن العاص تقاضيا على انهما يشهدان ان لا الله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . ثم قال عمرو ونشهد ان ابا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل بكتاب الله وسنة رسوله حتى قبضه الله اليه وقد ادى الحق الذي عليه قال له ابو موسى اكتب ثم قال في عمر مثل ذلك ثم قال عمرو اكتب (وان عثمان ولي هذا الامر بعد عمر على اجماع المسلمين وشورى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضا منهم وانه كان مؤمناً)

قال ابو موسى ليس هذا مما قدمنا له . قال عمرو لا بد والله من ان يكون مؤمناً او كافراً . قال ابو موسى اكتب . قال عمرو فظالماً قتل عثمان او مظلوماً ؟؟ قال ابو موسى بل قتل مظلوماً . قال عمرو افليس قد جعل الله لولي المظلوم سلطاناً يطلب بدمه . قال ابو موسى نعم .

قال عمرو للكاتب اكتب وامره ابو موسى فكتب ثم قال ابو موسى هذا امر حدث في الاسلام وانما اجتمعنا لله فهلم الى امر يصلح الله به امة محمد

قال عمرو ما هو؟ قال ابو موسى قد علمت ان اهل العراق لا يحبون معاوية ابداً وان اهل الشام لا يحبون علياً ابداً فهل نخلعها ونستخلف عبدالله بن عمرو

قال عمرو ايفعل ذلك عبدالله بن عمر؟ قال نعم اذا حمله الناس على ذلك فعل . ثم خدع عمرو ابا موسى فقال لنخرج الى القوم ونخلع علياً ومعاويه فوافق ابو موسى عمرو في ذلك ثم خرجا فقال ابو موسى تقدم يا عمرو فقال عمرو خدعة لابي موسى انت اكبر مني سناً والسابق في الاسلام فانت اولى بالتقدم مني

فخرج ابو موسى وقال بعد ان حمد الله واثنى على رسوله انه خلع علياً ومعاويه ثم نزل فخرج بعده عمرو وقال خلعت علياً وابقيت صاحبي ثم افترقا على ذلك فأما ابو موسى فلحق بمكه واما عمرو بن العاص فرأى ان الامر صار شورى بين المسلمين فتوجه هو واهل الشام الى معاويه فبايعوه بالخلافة لانهم رأوه اهلاً لان يقوم باعبائها ثم اخذ عمرو مصر وفاء بوعد معاويه

(وفاة عمرو بن العاص)

روى بن عساكر عن ابن شماسه المهزي قال :

« حضرنا عمرو بن العاص وهو في ساعة الموت وولى وجهه الى الحائط وجعل يبكي طويلاً فقال له ابنه ما يبكيك اما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا . اما بشرك بكذا . قال ثم اقبل بوجهه وقال بعد شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله قد رأيتى على اطباق ثلاثة . لقد رأيتنى وما احد من الناس أبغض الىّ من رسول الله ولا احب الىّ ان اكون استمكنت من قتله فلو مت على تلك الحال كنت من أهل النار فلما جعل الله الاسلام في قلبي اتيت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ابسط يدك لابايعك فبسط يمينه فقبضت يدي فقال مالك يا عمرو (فقال) اردت ان اشترط فقال ماذا تشترط قلت ان تغفر لي ما تقدم . قال اما علمت يا عمرو ان الاسلام يهدم ما كان قبله وان الهجرة تهدم ما كان قبلها وان الحج يهدم ما كان قبله فبايعته فما كان احد اجل في عيني منه اني لم اكن استطيع ان املأ عيني منه اجلالاً له فلو مت على تلك الحال لرجوت ان اكون من اهل الجنة . ثم ولينا اشياء لا ادري ما حالي فيها فاذا انا مت فلا تتبعنى نائحة فاذا دفنتموني في قبري فسنوا على التراب سنا فاذا فرغتم من دفني فأقيموا عند قبري قدر ما

ينمو جزور و يقسم لحمها حتى اعلم مـا اراجع به رسل ربي فاني استأنس بكم . اه .

وروى عن حميد بن عبد الرحمن عن عبد الله بن معاوية ان اباه قال حين احتضر اللهم انك امرت بأمور ونهيت عن امور تركنـا كثيراً مما امرت ووقفنا في كثير مما نهيت اللهم لا اله الا انت ثم اخذ بابهامة فلم يزل يهلل حتى مات . وفي رواية اخرى انه وضع يده موضع المغل من ذقنه ثم قال اللهم امرتنا فركبنا ونهيتنا فتركنا ولا تسعنا الا مغفرتك وما زال يهول كذلك حتى مات

وكانت وفاة عمرو بن العاص رضي الله عنه في مصر يوم عيد الفطر سنة سنة ٤٣ في خلافة معاوية وهو يتجاوز السبعين من عمره وقيل الثمانين ودفن في المقطم في جهة الفخ

وكان له دور و بساتين وكرمـاً وقد اجمع المؤرخون على انه كان في مقدمة اهل السعة واليسار في امته

كلمة عن عمرو بن العاص

قضى عمرو بن العاص حياته في طلب العلا فما قصد غاية الا بلغها ولا امل امنية الا نالها ولا طرق باباً الا ولجه وكان له في خلال حياته واعماله هنات تغتفر له في جانب جهاده ولا يلام على شيء من امور الفتنة مهما ترتب على اعماله من النتائج لان ذلك غير مقصود منه والعدل يقضي ان يقر التاريخ لهذا البطل الكبير بقوة الارادة

والجرأة والثبات والدهاء والسياسة وانه من حماة الاسلام العظام وحسبه انه كان من قواد عمر بن الخطاب وامرائه الكبار

ومن لاحظ انه كان تقياً زاهداً في الدنيا معرضاً عن لذاتها مع وفرة ماله وعظمته ويرى ان ذلك لم يلهه عن اكبر الاعمال وسلوك مسالك البطولة واكتساب الشهرة التي يخلدها له التاريخ بمداد الاعجاب يحكم ان لا بعيد الا وهو قريب ولا صعب الا وسهل الانقياد ولا مستحيل يستحيل على اهل العزم وكبراء النفس

والذي نلاحظه عليه رضى الله عنه نلاحظه على جميع امراء الاسلام في الصدر الاول من التواضع والاستقامة والركون الى الكتاب والسنه في جميع الامور فكانوا رضى الله عنهم يمثلون في اعمالهم ارقى مدنية واسعد حياة وارغد عيش ولعمري كان الاجدر بالخلف اقتفاء السلف لينال من العزة ما نال السلف ومن الرقي والسعادة اقصى ما لاجله كل انسان يسعى

اجل لو كان للخلف اسوة بالسلف لما حقت على الامة الاسلامية كلمة التبديل وسلك الامراء ورجال الامة الذين ينظر لهم الاسلام من طرف خفي سبل الترف والتنعم بالحرير والسندس والانهماك في اللذات والاعتماد على الخدم والحشم والتأسي بامراء الغرب الذين قبسوا من مدنية الاسلام قبساً جعلهم يظنون انهم بلغوا السماك الأعلى وغاية ما ينتظر

وما دام الحال على ما هو عليه الآن لا يمكن للمسلمين ان يستردوا عزة الاسلام وشامخ مجده وسؤدده العظيم اللهم الا اذا وفق

الله الراعي والرعية الى سلوك طريق اقرب الينا مما نسلكه الآن الى حياة سعيدة واثار مجيدة

أنا نقص على افراد الامة من ابناء كبراء الاسلام وامرائه الاول ما ثبت به افئدتهم على العمل لرقي الامة الاسلامية ورد بضاعتنا الينا من العزة والسؤدد وتشييد صروح المجد والعلياء

ومتي عقدت الخناصر على موالات السير والضرب في الدرب الذي سلكه السلف وتوفرت لدينا قوة الارادة وشدة العزم والحزم وثبّت في النفوس تعاليم ديننا القويم ونهج العالم الاسلامي نهج الصحابة والخلفاء الراشدين لا حجاب بيننا وبين انشودتنا وقد تحق علينا كلمة التبديل كما حقت اولا فنحيي مجد بلادنا ونرتع في بحبوحة السعادة ونبرهن للعالم اننا خلقنا لكي نرقى الى المجد والعلى ولسنا بهائك الصفائر تقنع

﴿ اثر قلمي ﴾

(كتاب من عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب يصف له مصر)

اعلم يا أمير المؤمنين ان مصر تربة غبراء ، وشجرة خضراء ، طولها شهر ، وعرضها عشر ، يكتنفها جبل اغبر ، ورمل اعفر ، يخط وسطها النيل المبارك الغدوات ، ميمون الروحات ، تجري فيه الزيادة والنقصان ، بجري الشمس والقمر له أوان ، يدر حلابه ويكثر عجاجه وتعظم امواجه فتفيض على الجانبين فلا يمكن التخلص من القرى بعضها الى بعض الا في صغار المراكب ، وخفاف القوارب ، وزوارق كانهن الخمايل ورق الاصايل ، فاذ

تكامل في زيادته نكص على عقبه كاول ما بدا في جريته وطمى في درّته فعند ذلك تخرج ملة محقورة وذمة مخفورة يحرثون بطون الارض ويبذرون بها الحب يرجون بذلك النماء من الرب لغيرهم ما سعوا من كدهم فناله منهم بغير جدهم فاذا احدق الزرع واشرق سقاه الندى وغذاه من تحت الثرى . فبينما مصر يا أمير المؤمنين لؤلؤة بيضاء اذ هي عنبرة سوداء فاذا هي زمردة خضراء فاذا هي ديباجة زرقاء فتبارك الله الخالق لما يشاء والذي يصلح هذه البلاد وينيرها ويقر قاطنها فيها ان لا يقبل قول خسيسها في رئيسها وان لا يستأدى خراج الثمرة الا في اوانها وان يصرف ثلث ارتياعها في عمل جسورها وترعها فاذا تقرر الحال مع العمال في هذه الاحوال تضاعف ارتياع المال والله تعالى موفق الملك والمآل

الامام علي

ما كان لنا ان نؤخر تاريخ هذا البطل الفني عن ذكر مآثره واعماله الا لجمع ملخص تاريخه واجتناب الفتنة التي قامت بينه وبين معاوية وترك الحكم فيها ولما هو في المرتبة فكان الثاني بعد عمر بن الخطاب واليك ملخص تاريخ حياته

***

لقد حار المؤرخون في الوقوف على حقيقة امره ومنتهى قدره فبينما هو شجاع مقدام وبطل حربي اذ هو خطيب مصقع وكاتب بليغ وشاعر من خيرة الشعراء المجيدين ومنظوماته واقواله تجري على الالسنة مجرى الامثال لما تتضمنه من الحكم العالية والافكار السامية هذا عدا عن حسن السلاسه والانسجام ولم يقف فضله عند ذلك بل تعداه الى الزهد والتقوى والورع والتقدم على العلماء في علوم الدين وعلى القضاة في الحكم بين المسلمين

هذا هو علي بن ابي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم واول من اسلم من الصبية وروى عنه انه قال (بعث الاسلام يوم الاثنين واسلمت يوم الثلاثاء) وليس ذلك بعجيب فان علياً على ما اتصف به من الذكاء وتقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على استعداد الى الهداية لما كان يلاقيه في النبي الامين من الكمالات التي لم تجتمع لاحد من قبله ولقد دخل الاسلام وهو ابن تسع سنوات بحيث اذا وقف بين الناس وقال اما

بعد استرعي الاسماع وخشعت له القلوب وتأثرت الافئدة بمؤثرات مواعظه وخطبه هذا اذا كان محضاً على التقوى يزهد في الحياة الدنيا منذراً بهول العقاب على من طغى و بغى وتجاوز حدود الشريعة اما اذا خطب في القوم حماساً فكان يبث في صدر الامة روح الشجاعة والبسالة والاقدام حتى يعود الجبان شجاعا والضعيف قوياً وحتى يخوض المرء بنفسه غمرات الحروب باسم الثغر

وكان مقيما مع الرسول الامين في منزله يطعمه و يسقيه فاهتدى بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتدنس بدنس الجاهلية من عبادة الاوثان وغيرها ولما هاجر عليه السلام من مكة الى المدينة فداه علي بنفسه ونام على فراشه ثم لحقه بعد قليل وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزواته كلها الاَّ غزوة واحدة فانه خلفه في اهل بيته وكان له قدماً ثابتاً في جميع الغزوات وهو من اول المبارزين يوم بدر وممن ثبت احد وحسين وزوجه عليه السلام بنته فاطمة في السنة الثانية من الهجرة وناب عن رسول الله في اوائل التوبة في موسم الحج ايذانا ببراءة الله ورسوله من المشركين

﴿ خلافة علي ﴾

ظل المسلمون حيارى بعد قتل الخليفة (عثمان بن عفان) لا يجدون لهم ملجأ كانهم فوضى ولم يكن امامهم من يصلح للخلافة بعد عثمان الا علي بن ابي طالب فذهب معظمهم يطلبون منه ان يلي الخلافة مقدراً المستقبل حق قدره وعلم انه انما سيقابل فتنة سائرة لا مرد لها فقال لهم

التمسوا غيري فانا مستقبلون امرا له وجوه وله الوان لا تقوم به القلوب ولا تثبت عليه العقول

فناشدوه الله والدين فقال قد اجبتكم واعلموا انى ان اجبتكم ركبت بكم ما اعلم وان تركتموني فانما انا كاحدكم الا اني من اطوعكم واسمعكم لمن وليتموه فأبوا الا اياه فقبل رضى الله عنه وهو يشعر بمستقبل متلبد بسحب الفتن والمشاغبات ثم رأى الصحابة ان هذا الامر لا يتم الا ببايعة الزبير وطلحة فذهب اليهما جماعة واتوا بهما فبايعا عليّاً ثم قام الناس وبايعوه وتخلف عن بيعته كثير من اكابر الصحابة الذين بتأخرهم وقع ما كان يحذره الامام علي من الانقسام والاختلاف وتسرب الوهن الى الدولة الاسلامية

قتل امير المؤمنين عثمان بن عفان فافترقت الامة اذ ليس هذا بالامر الهين حتى يقابل بالفض ففريق ناقم على قتلته ويود قبل كل شيء اقامة حداً لله والقصاص من قاتليه ثم يجتمع رجال الحل والعقد من الأمة فينتخبون بدله ومن هؤلاء عامة عشيرة عثمان وعلى رأسهم كبيرهم معاوية بن ابي سفيان امير الشام وكثير غيره كطلحة والزبير وام المؤمنين عائشه وعمرو بن العاص وفريق رأوا ان الاولى بالمسلمين ان يبدأوا باقامة خليفة لهم ثم هو ينفذ حكم الله في القاتلين بعد ان تهدأ الاحوال ولا يتعسر امر القصاص وتجتمع جنود المسلمين للقدرة

على الثائرين ومن هؤلاء علي بن ابي طالب وكثير من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفريق ثالث وهم قتلة عثمان يرون بالطبع انهم اصابوا فيما صنعوا ولا يستحقون قصاصاً

ذهب كل فريق الى تعزيز مذهبه وتنفيذ ما رآه صواباً فتولد من ذلك هذا الانقسام الذي كاد يأخذ بالامة الاسلامية الى الدمار خصوصاً وقد وجد الخارجون على الاسلام هذه الفرصة فدسوا الدسائس واشعلوا نار الفتن فكان ما كان واليك تفصيله

﴿ اعمال علي في خلافته ﴾

بعد مبايعته نظر الى الولايات الاسلامية نظرة مبصر وفكر في سبب قتل عثمان الذي ولي اقاربه في جميع الامصار ثم رأى رضي الله عنه ان يبدل كل ولاة عثمان فارسل الى الامصار عمالاً وضع ثقته فيهم واختارهم من القوم وكان من بينهم قيس بن سعد الذي ارسله الى مصر بدلاً من عبد الله بن سعد وعثمان بن حنيف على الشام بدلاً من معاويه بن ابي سفيان وامر كلاً بالتوجه الى عمله وولايته

فلما وصل سهل بن حنيف تبوك وهو قاصد الشام قابلته خيل عليها رجال من اهل الشام فردوه وامتنع معاوية من بيعة علي واحتج على خلافته لانه ظن في الامام علي انه من نصرة قتلة عثمان ومعاوية يرى لنفسه حقاً عظيماً في القصاص من قتلة عثمان لانه وليه والله تعالى يقول (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في

القتل) ولم ير في الامتناع عن البيعة خروجاً على الامام لانه رأى ان بيعة على لم تنعقد حيث لم تكن باجماع ذوي الحل والعقد فارسل اليه رجلاً بطومار ليس فيه شيء من الكتابة وعنوانه من معاوية الى علي ابن ابي طالب وامره اذا قدم المدينة ان يرفعه ليعلم الناس انه مخالف ففعل الرجل ما امره به فلما علم اهل المدينة بذلك احبوا ان يعلموا رأي علي في امر معاويه ايقاتله ام يحذر ذلك فدسوا اليه زياد ابن حنظله فقال له علي يازياد تيسر قال لاي شيء ؟؟ قال لغزو الشام فقال زياد الاناة والرفق أمثل وانشد

ومن لم يصانع في امور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

فقال علي

متى تجمع القلب الذكي وصارماً وانفاً وحيياً تجتنبك المظالم

فخرج زياد فقالوا له ما وراءك قال السيف وقد عد علي خلاف معاوية بغياً وخروجاً عن طاعته لان بيعته قد انعقدت بمن بايعه فلزمت من لم يبايع وارسل الى اهل الامصار يستفزهم لقتل معاوية وبينا علي يتجهز اذ جاءه خبر لم يكن في حسبانه وهو خلاف طلحة والزبير وام المؤمنين عائشه وانهم قصدوا البصرة وسبب ذلك ان ام المؤمنين لما بلغها قتل عثمان وخلافة علي قالت قتل عثمان والله مظلوماً والله لاطلبنّ بدمه ثم رجعت الى مكة وخطبت الناس (تأمل ١١) فقالت (ايها الناس ان الغوغاء من الامصار واهل المياه وعبيد اهل المدينة اجتمعوا على هذا الرجل (عثمان) المقتول ظلماً

بالامس وتقموا عليه استعمال من حدثت منه وقد استعمل امثالهم ومواضع من الحمى حماها لهم فتابعهم ونزل لهم عنها فلما لم يجدوا حجة ولا عذراً بادروا بالعدوان فسفكوا الدم الحرام واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام واخذوا المال الحرام والله لاصبع من عثمان خير من طباق الارض امثالهم ووالله لو ان الذي اعتدوا عليه ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبيثه او الثوب من درنه او ماصوه (غسلوه) كما يماص الثوب بالماء

ثم خرجت ام المومنين ومعها جمع كثير الى البصرة وكان فيهم طلحة والزبير وبلغ هذا الخبر علياً وهو بالمدينة وقد عبى جيشه الى الشام فدعا وجوه اهل المدينة وقال لهم آخر الامر لا يصلح الا بما صلح اوله فانصروا الله ينصركم ويصلح لكم امركم ثم ارسل يستفز اهل الكوفة الى الحرب فانبلوا مع ابنه الحسن رضى عنه فقام فيهم خطيباً وقال « يا اهل الكوفة انتم قاتلتم ملوك العجم وفضضتم جموعهم حتى صارت اليكم موارثهم فمنعتم حوزتكم واعنتم الناس على عدوهم وقد دعونكم لتشهدوا معنا اخواننا من اهل البصرة فان يرجعوا فذاك الذي نريد وان يلجوا داويناهم بالرفق حتى يبدأوا بظلم ولم ندع امراً فيه اصلاح الا آثرناه على ما فيه الفساد ان شاء الله »

ثم ندب القعقاع بن عمرو ليكون بينه وبين طلحة والزبير وقال له اذهب فادعهما الى الألفة والجماعة وعظم عليهما الفرقة ثم قدم القعقاع البصرة وبدأ بأم المؤمنين فقال لها اي امة ما اقدمك هذه البلدة؟؟

قالت اي بني الاصلاح بين الناس قال فابعثي الى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما فبعثت اليهما فحضرا فقال القعقاع اني سألت ام المؤمنين ما اقدمها فقالت الاصلاح بين الناس فما تقولان انتما متابعان ام مخالفان قالا بل متابعان قال فاخبراني ما وجه هذا الاصلاح قالا قتلة عثمان . قال قد قتلتما قتلة عثمان من اهل البصرة وانتما قبل قتلهم اقرب الى الاستقامة منكم اليوم قتلتم ستمائة رجل فغضب لهم ستة الاف فاعتزلوكم وخرجوا من بين اظهركم وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه منكم ستة الاف فان تركتموهم كنتم تاركين لما تقولون

قالت ام المؤمنين فماذا تقول انت ؟ قال اقول ان هذا الامر دواؤه التسكين فان سكن اختلجوا فان انتم بايعتمونا فعلامة خير وان انتم ابيتم الا مكابرة هذا الامر واعتسافه كان علامة شر فأثروا العافية ترزقوها قالوا لقد اصبت واحسنت فان رجع علي وهو على مثل رأيك صلح الأمر فرجع الى علي واخبره فاعجبه ذلك واشرف القوم على الصلح وذاع هذا الخبر بين اهل البصرة والكوفة وسرت النفوس لحسم هذا الاختلاف وقام علي خطيباً فحمد الله واثنى عليه وذكر شقاوة الجاهلية وسعادة الاسلام على الخليقة من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال والله بالغ امره الا وأني راحل غداً فارتحلوا ولا يرتحلن احد اعان علي عثمان بشيء من امور الناس وليرجع السفهاء على انفسهم

فلما سمع العثمانية (اصحاب ابن سبأ) مقالة علي رأوا ضرر هذا

الصلح انما يعود عليهم لانه ان تم كان على قتلهم فتشاوروا فيما يفعلون لمنع الصلح فقال لهم رئيسهم الضلال والدخيل في الاسلام يا قوم ان عزكم في خلطة الناس فاذا التقى الناس غداً فانشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر فأجمعوا رأيهم على ذلك فلما اصبحوا سار علي وسار اليه طلحة والزبير فالتقى الجيشان خارج البصرة فسأل علياً بعض اصحابه عما سيفعله فقال الاصلاح لعل الله يصلح امر هذه الامة ثم ارسل لطلحة والزبير اذا كان علي ما فارقا عليه القعقاع فلينزلا ليتم الصلح فخرج الزبير على فرسه بين الجيشين ثم خرج طلحة ايضاً فخرج اليهما علي حتى أختلفت اعناق دوابهما فقال على لعمري لقد اعددتما سلاحاً ورجالاً ان كنتما اعددتما عند الله عذراً فاتقيا الله ولا تكونا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة الم اكن اخاكما في دينكما تحرمان دمي واحرم دمكما فهل من حدث احل لكما دمي فقال طلحة البت على عثمان فلعن على قتلة عثمان ثم ذكر الزبير بقوله عليه الصلاة والسلام تقتلك الفئة الباغية فكأن الزبير شعر بخطئه ثم رجع كل الى قومه وهم لا يشكون في الصلح وباتوا بأهنأ ليلة وهنا رأى السبيئة ان الوقت قد حان لتنفيذ مآربهم فخرجوا في الغلس من غير ان يشعر بهم احد ثم تفرقوا بين كل قوم جماعة منهم ووضعوا فيهم السلاح فثار كل قوم في وجوه اصحابهم وسأل طلحة والزبير عن الخبر فقيل لهما طرقنا اهل الكوفة فقالا علمنا ان علياً غير منته حتى يسفك الدماء وسأل علي عن الخبر فقال رجل من السبيئة ما شعرنا الا وقوم يصلون السلاح في رقابنا

فرددناهم فقال علي لقد علمت ان طلحه والزبير لم يرجعا حتى يسفكا الدماء ثم خرجت ام المؤمنين في هودجها ووقفت حيث تشرف على المقاتلين اما الزبير فأنه ترك القوم ورجع فتبعه رجل وقتله وهو يصلي في وادي السباع ثم حمي وطيس القتال بين الفريقين فلما رأى علي شدة الامر وكثره القتلى من المسلمين قال اعقروا جمل ام المؤمنين لان اهالي البصرة كلما رأوا ام المؤمنين في هودجها تزداد حماستهم والذي دعاه الى ذلك الحذر على ام المؤمنين من ان تصاب من كثرة النبال فقطع ساق الجمل وحمل الهودج وعند ذلك انهزم اهل البصرة فنادى منادي لا تتبعوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا دوراً ثم اخرج الهودج من وسط الجرحى والقتلى وكشف عنها محمد بن ابي بكر فوجدها سليمة ثم اتاها على وعليه اثار الكدر لهذا الحادث وقال كيف انت يا امة قالت بخير وكان على يتمثل بعد انتهاء الموقعة بقول الشاعر

اليك اشكو عجري وبجري ومعشراً غشوا على بصري

قتلت منهم مضري بمضري شفت نفسي وقتلت معشري

ثم جهز الامام علي ام المؤمنين فسافرت الى مكه للحج ثم رجعت المدينة واما علي رضي الله عنه فرجع الى الكوفة بعد ان بايعه اهل البصرة وجعل الكوفة مقر خلافته فارسل جرير بن عبد الله البجلي ثم ارسل الى معاويه لمبايعة علي فامتنع وجعل القصاص من قتلا عثمان اولاً ثم اختيار الامام حتي تتعقبه البيعة ولكن الامام ارسل من يدعو معاوية

الى الجماعة وترك الشقاق وتأجيل طلب قتلة عثمان الى ان يجتمع امر الامة وتستأصل الفتنة فابى معاوية الا القتال فكان على بعد ذلك باس الرجل ذو الشرف فيخرج مع جماعة من اصحابه فيخرج له معاوية مثله وداموا على ذلك مدة ثم عقدت هدنة لمفاوضات الصلح وانتهت على لا شيء الا القتال فتقابل الجيشان واشتد القتال حتى كاد جيش الشام ينهزم فاشار عمرو بن العاص بايقاف الحرب والرجوع الى القرآن

✻ قتل الامام علي ✻

قصد عبد الرحمن بن ملجم الكوفه وانتظر امير المؤمنين في صبح الليلة التي تواعد فيها الخوارج لقتل علي وعمرو ومعاويه فبينما امير المؤمنين ينادي الناس الصلاة الصلاة اذ ضربه هذا الشقي بسيفه قائلا الحكم لله لاالك ياعلي ولا لأصحابك فقال علي لايفوتكم الرجل فشد عليه الناس واخذوه وقدم جعدة بن هبيرة للصلاة بالناس الصبح ثم قال رضى الله عنه النفس بالنفس ان هلكت فاقتلوه كما قتلني وان بقيت رأيت فيه رأيي يا بني عبد المطلب لا الفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قتل امير المومنين (تأمل) الا لا يقتلن الا قاتلي انظر ياحسن ان انا مت من ضربتي هذه فاضربه ضربة بضربة ولا تمثل بالرجل ولم يوص بالخلافة لاحد وقال ما أمركم ولا انهاكم انتم ابصر وفي ذلك حفظاً لسنة شورى الامر بين المسلمين وخوفاً من ان يكون الملك وراثة يورث كما تورث المير ولقد كان للمسلمين في الخلفاء الراشدين اسوة حسنة .

الوليد بن عبد الملك

« علمه وتربيته »

هو بن عبد الملك ابو العباس كان ابواه يكثران من التحبب اليه واهمال امره حتى شب بلا ادب ولا تربية قال روح بن زنباع دخلت مرة على عبدالله وهو مهموم فقال فكرت فيمن اوليه امر العرب فلم اجده قال اين انت من الوليد قال انه لا يحسن النحو

ونقل بن ابي حاتم في تفسيره عن ابراهيم ابن ابي زرعه ان الوليد قال له ايحاسب الخليفة قال يا أمير المؤمنين انت اكرم على الله ام داوود ان الله جمع له النبوة والخلافة ثم تواعده فقال يا داوود الآية.

والامر الذي اختلف فيه المؤرخون هو سبب الفتوحات العظيمة واتساع الملك في عهده وما توج به الاسلام من الفخر والمجد مع انه لم يكن عالماً ولا ممارساً للتعليم بل كان بالعكس جاهلاً مستبداً ولكن الله يؤتي الفضل من يشاء من عباده وسنذيل تاريخه بكلمة مجملة عنه

ونبدي رأينا في الاسباب التي ساعدت على نمو ملكه واتساع حكمه وبلوغه ما لا يبلغه غيره من المتعلمين الذين ملكوا الخلافة من

قبله ومن بعده

﴿ خلافة الوليد ﴾

ولي الوليد عهد الخلافة بعهد من ابيه يوم الجمعة النصف من شوال سنة ست وثمانين

فانّي لنا عصر الوليد وجده فقد كان فيه المجد يزهو ويينع

اي بلادٍ فتحت واي مساجد عمرت واي آية للحضارة والعمران ظهرت في عهد الخليفة المجاهد المقدام الفاتح ابي الايامى وغال اليتامى وملجأ العجزة المساكين الذي شرح القلوب المحزنة ببره وفتح البلاد المستحكمة بسيف حزمه وعدله وساس الممالك الاسلامية خير سياسة شبيه عمر ابن الخطاب رضى الله عنه في عصره وفتحه وانتشار الاسلام بفضله وامتداد الاحكام الاسلامية الى غرب اوربا

ان ما فتح في عهده من البلاد والممالك من اشرف ما يفتخر به الانسان الفاتح القائد . فتراه مثلاً يجدد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المشرق ويفتح الاندلس للمسلمين بالمغرب . ان ذلك لمن اعظم نتائج الفطنة والذكاء وحسن الادارة وتمام الدراية

لذلك كان عصره من ارقى العصور مدنية واغزرها فتحاً واتساعاً وعمراناً واجلها عظمة وابهة لاشتراك الامة في اعمال الخير وانصرافها الى سبيل المجد والاجتهاد وتوجه سعيها الى مراقي العز واخضاع الغير

ولي الخلافة في اواخر سنة ست وثمانين فما دخلت سنة سبع

وثمانين عليه الا وهو مقسم اوقاتها بالفكر والخيال جاعل ايامها وساعاتها ينابيع سعادة وتاج فخر ووسائل ارتقاء

بدأ بتعيين عماله في البلاد التابعة للخلافة الاسلامية بانتقاء وانتقاد يفوقان حد الوصف وبتعديان موضع التحرير وحسبك انتقاء مثل سيدنا عمر بن عبد العزيز اميراً على مكة المكرمة والمدينة المنورة

ثم شرع في بناء جامع دمشق الذي هو احدى عجائب الدنيا جمع فيه مائة الف ماهر من الصناع حتى انت وفود الروم لمشاهدته فصرعتهم عظمته واستفزتهم ابهته ثم كتب للجهات بتوسيع المساجد وبنائها فكتب بادخال حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده وتوسيعه بمائتي ذراع وهكذا جدد المسجد الحرام ومسجد قبا ومسجد مصر وبينا كان يأمر بتعمير بيوت الله وتوسيعها كانت فتوحات جيشه متوالية ففتح قتيبه بن مسلم الباهلي من اكابر قواده خوارزم وسمرقند وسردينيا .

ثم دخلت سنة ٨٨ فجهز مسلمة اخاه والعباس ابنه لغزو الروم فجمعت خمسين الفاً فلما التقى العسكران غلبت الروم وفتحت بلاد كثيرة من مملكتها

وفي سنة تسع وثمانين فتحت جزيرنا (سنورقه) و (ميورقه) من جزر بحر الروم شرق الاندلس ويطلق عليها بعد ضم جزيرة افيسيا جزر البليار . وفي سنة تسعين فتح عسكر الاسلام (نسف) ومدائن كثيرة من ازبكان وفتح محمد بن مروان جهة (دربند) وحصونه

ودان له ما وراء باب الابواب وفتح الحجاج بخارى ووصل محمد بن القاسم لارض الهند ودخل قنبلة (تسفر) او مدن الصين وافتتحها بعد حرب عوان لاقى فيها ابن اخت ملك الصين في مائتي الف مقاتل وهكذا كان الظفر يرفرف على جيش جند المسلمين ويعلو رأسهم تاج الفخر والانتصار حتى انتهت هذه السنة والمسلمين فيها صفحات مجد تتلى جيلاً بعد جيل ويذكرها الابناء بعد الاباء

ثم دخلت سنة اثنين وتسعين وكان موسى بن نصير امير المغرب وعامله على افريقية وكان استنزل يوليانوس لطاعة المسلمين بعد حروب كثيرة وعرف منه السبيل لفتح الاندلس فارسل خيرة قواده طارق ابن زياد الليثي لفتحها فجاز طارق البحر في (٣٠٠) فارس من العرب واحتشد معهم من البربر نحوا من عشرة الاف وصيرها عسكرين ترأس على احدهما ونزل به جبل الفتح الذي سمي باسمه والآخر رأس عليه طريف بن مالك النخعي فقابلهم رودريك في نحو من اربعين الف فارس فهزموه وافتتحوا البلاد وغلبوهم على ما بأيديهم مع كثرتهم وقوتهم لانهم يقاتلون بقلوبهم متحدون بوجهتهم .

فلما بلغ خبر هذا الانتصار موسى بن نصير استخلف على القيروان ولده عبد الله ونهض في سنة ثلاث وتسعين في عسكر عظيم ودخل الاندلس واتم فتح برشلونه في الشرق واربونه في الجوف وصنم قادس في الغرب

اصبحت الاندلس وهي المملكة الممدودة في الرتبة السادسه بين

الممالك الاوربيه داخلة تحت حكم مملكة العرب وجناح الاسلام يرفرف فوقها

ثم دخلت سنة ثلاثة وتسعين ففتح فيها مدين اردبيل والكرخ والبيضاء وفتح في سنة اربعة وتسعين كابل وفرغانة والشاس وفتح اقاصي جهة الباب ومدينة طوس سنة ٩٥

ثم سنة ستة وتسعين التي ارادله ان يتخلص ظل هذا الخليفة العادل عن الدولة فيها ولا معقب لحكمه فقضى رحمه الله بدير مران وحمل على اعناق الرجال ودفن بدمشق

وكانت مدة خلافته تسع سنين وثمانية اشهر استقر فيها نصاب الدولة في مقر عزه من السلطان والقدرة وكمال الفضيلة ولولا ان عاجله الفناء لاقتطع من الممالك الاوربية ممالك عظيمة وشيد لخلافته ومهد لعصابته ما هو اجل وانعم مما شاده وبناه

اتسعت ممالك الاسلام في دولته اتساعاً لم يعهد له مثيل وجبي من الاموال شيئاً كثيراً وكانت الدولة في عهده غاية في الثروة وكان مع اتساع هذا الملك وزيادة عمرانه يقظاً في امر دولته لا تفوته الذرة ولا تكاد نفوس اعدائه تحدث سرها بمخالفته وكانت له عيون تطالعه باخبار الناس قبلة في كافة ارجاء ممالكه

ومن اعماله التي سبق بها من جاء قبله واتعب بها من جاء بعده انه حبس المجذومين والصبيان والزمني واجرى لهم الارزاق وبنى البمارستان فاراح ذوي العاهات من مشقة السعي ومذلة التردد على ابواب الميسورين وكفى المساكين شر تجولهم في الشوارع ووقي الناس

من شر المجانين ولو كان ذلك فقط الذي جرى في عهده لكفى لتبييض صحائفه فقد فتح للمحسنين ابواباً يطرقونها وللحكومات طرقاً للاصلاح سلكوها من بعده . الا فليقرأ العالم تاريخ هذا البطل وليتعظ المسلمون بما كان لسلفهم من شمخة وعزة وليقبلوا على العلم والعمل حتى يعيدوا مجداً قد دفن وينشدوا في كل فترة من فترات حياتهم قول الشاعر المجيد .

اذا راجعت عيناي تاريخ مجدنا يظل فؤادي للهموم يرجع
وكيف تراني يطرق النوم مقلتي وذلك مغنى العز اقفر بلقع
خلقنا لكي نرقى الى المجد والعلا
فلسنا بهاتيك الصغائر نقنع
ولا خير في الدنيا اذا لم نكن بها
نجوم سماء لا نذل ونخضع

﴿ كلمة مجملة عن الوليد ﴾

اختلف المؤرخون في تعليل ما تم في عصر الوليد من الفتوحات وما وصل اليه ملكه من العظمة والسعة مع انه لم يتعلم ولم ينشأ مفكراً حتى انه عد في الدرجة الاولى بين الخلفاء . وهذا ما يوجب العجب والاستغراب لان الذي يسلم به العقل ويؤيده النقل ان كلما توفرت اسباب التربية والتعليم للانسان كان تقدمه سريعاً وعمله في الهيئة الاجتماعية كبيراً والعكس بالعكس فكيف نعلل وصول هذا

الخليفة الى هذه الدرجة وقيامه بهذه الاعمال وماذا عسانا نقول في هذه النظرية المكوسة

وان الذي يمكن تصوره بهذا الخصوص هو امر من ثلاثة اما ان الوليد قام في عهده من اعاظم الرجال من كانوا عونا له على اعماله وكل هذه الأعمال والفتوحات يرجع الفضل فيها اليهم دونه وهذا ما لا اعتبره لأن من نظر الى رجال دولته يرى انهم كانوا في عصر والده وقد قال ابن الاثير ان في عهد الوليد مات كثير من مشاهير الرجال من العلماء والمفكرين وان قلنا ان الظروف والفرص التي تهيأت للخليفة مكنته من ذلك دون ان يظهر شيأ من المجهودات وليس هذا يقنع من تصدى للبحث فلم يحصل في عصره خلاف بين الأمارات التي استولى عليها او شيء من ذلك وانما الذي اعتمده وأعلله ومذهبي الذي اقره هو ان العلم وحده لايصير الرجل عظيما وان كثيرا من مشاهير الرجال قد سادوا وشادوا ونالوا مانالوا وتحصلوا وهم يكادون يعدون من العوام الاميين الذي يجهلون القراءة والكتابة او الذين تعلموها في زمن الكبر والشواهد على ذلك كثيرة اقربها الى الذهن تولي محمد على باشا مصلح مصر الكبير على هذه البلاد وهو يجهل القراءة والكتابة فهذا الخليفة كان من هذا القبيل والذي رقى بملكه الى مراقي المجد والرفعة انما بصيرته الثاقبه وذهنة الوقاد ونباهة غريزية ابيه كما كان ذلك من محمد على باشا بمصر

ولا زالت هذه المسألة موضع جدال المؤرخين واختلاف مذاهبهم

ومشاريعهم وقد اثبتت فكرتي وتعليلي لعلمي ان الرجل الكبير بقوة ارادته وعلو همته وقادة بصيرته يذلل الصعاب ويسخر الفرص والاوقات حيث شاء وهو سلطان على كل الموجودات يتصرف بأرادته وعلو عقله ومقدرته

ومن راجع تاريخ بطل تاريخ مصر الحديث ومؤسس العائلة الخديوية نظر كيف استتب له الامر وكيف اصلح مصر وادخل فيها الصناعات العديدة والرقي الذي ساوت به ممالك الغرب وما اعده لها من عدة

وناهيك بقوة المماليك وجبروتهم كيف قتلهم عن اخرهم وازال ملكهم بعد ان طهر البلاد من اوساخهم ومظالمهم وهكذا من يقرأ التاريخ يجد كثيراً من هذه الامثال

عمر بن عبد العزيز

اتاك ايها القاريُ تاريخ من ملأ الارض عدلا واعاد عهد عمر ابن الخطاب الذي القى بجوادنه درسا للملوك واظهر واجب الخليفةوحق الرعيه وكانت حركاته وسكناته آيات عدل وحكم وزهد ويعد من ابطال الاسلام لاقامته العدل بعد الجور وحكم نفسه ونشر الدين والطمأنية بين افراد الامة ولعمري

فليس من يقطع طرقاً بطل انما من يتق الله البطل

***

في سنة ٩٩ هـ — ٧١٧ م توفي سليمان بن عبد الملك وكان بايع ابنه ايوب ليكن ولي عهده ولكن ايوب المذكور توفي قبله فاستخلف عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم لان بقية اولاده كانوا صغاراً ولما بايعت الناس عمر صعد المنبر وقال

ايها الناس لا كتاب بعد القرآن ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم الا واني لست بقاض ولكني منفذ ولست بمبتدع ولكني متبع ولست خير من احدكم ولكني اثقلكم حملا وان الرجل المارب من الامام الظالم ليس بظالم الا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

فالله ما اعلا هذه الكلمات الدستورية وما افصح بيان عمر لواجب الملوك والامراء ووظيفتهم وامره رعيته ان لا تطيعه الا فيما امر الله

لانه نبع القرآن لا مبتدع الاحكام من عنده ولا أمر بامره ولا تاه برأيه . والله ان هذا لهو ارقى ما ينتظر من الملوك ومنتهى ما تطلبه الرعية من راعيها

***

ذكر المسعودي قال لما افضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز وفدت اليه الشعراء كما كانت تفدم على الخلفاء قبله فقاموا في الباب اياماً لم ياذن لهم بالدخول ولما حضر ابن ارطاة وكان في مقام رفيع عند الخليفة طلب منه الشعراء بان يتكلم مع الخليفة ان ياذن لهم بالدخول فقال يا امير المؤمنين الشعراء بالباب والسنتهم مسمومة . فقال عمر مالي وللشعراء . من بالباب ؟ قال ابن عمك عمر بن ربيعة . قال الخليفة لا قرب الله منه قرابة اليس هو القائل في شعره

ايا ليتني في يوم تدنو منيتي لثمت الذي بين عينيك والفم
وليت طهوري كان ريقك كله وليت حنوطي من حشائك والدم
ويا ليت سلمى في القبور ضجيعتي هنالك اوفي جنتي او جهنم

ثم قال عمر قبحه الله . ليس في تلك الدنيا الا العمل الصالح فيجعل في الجنة نكاحا . ثم قال ومن غيره في الباب . قال جرير فقال عمر اليس هو القائل في شعره

ولست بصائم رمضان عمري ولست بآكل لحم الاضاحي
ولست بنحر عيسى او بكور على اطلال مكة بالنجاح

ولست بقائم كالعبد يدعو قبيل الصبح حيّ على الفلاح
ولكن قم نباشر بنت كرم ونشرب عند منبلج الصباح

فقال والله لا يدخل بساطي الناس كافرون فلله ما اطهر هذه النفس الزكيه التي رغبت رضاء الله وطلقت الترف ومنعت تزلف الشعراء الى باب ملكه ومقر حكمه . وتلك النفس التي خالفت من قبلها من الملوك وعكفت على تحقيق قول عمر بن الخطاب سيأتي ولدا اشج من نسلي يملأ الأرض عدلا . فكان هو عمر بن عبد العزيز الذي بهر رعيته بعدله وحكمه وملأ ادمغة الأمة باطيب امثلة واثار التاريخ وبيض صحائفه بذكر اعماله وجليل اثاره . فلم يترك بابا من العدل الاولجه ولا مورداً الا ورده أولئك الخلفاء حقا الذين يرقون برعيتهم الى اوج الرفاهيه وينشرون بصلاحهم ارقى مدنيه ويسنون احسن السنن فالناس على دين ملوكهم واذا صلح الراعي صلحت الرعية . وكثرة اعماله وضيق المجلدات عن حصرها لا يمنعنا ان نذكر منها مثالا ولعمري فلو كان ما سنأتي عليه جل ماعمله لكفى ان يذكر بطيب الكلم فقد تعود الخطباء في عهد سلفه سب الأمام علي كرم الله وجهه على المنابر فمنع عمر بن عبد العزيز سب علي على المنابر واستبدل ذلك بقوله ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالأيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رؤوف رحيم . وقيل انه قال ايضا ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى . وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي (الآيه)

وذكر جماعة من الاخبار بين ان عمر لما ولي الخلافة وفد عليه وفود العرب ووفد عليه وفد الحجاز فاختار الوفد غلاما منهم قدموه عليهم بالكلام فلما ابتداء الغلام بالكلام وهو اصغر القوم سنا قال عمر مهلا يا غلام ليتكلم من هو اسن منك فقال مهلا يا امير المؤمنين انما المرء باصغريه لسانه وقلبه فاذا منح الله العبد لسانا لافظاً وقلباً حافظاً فقد استعاد له الحلية يا امير المؤمنين ولو كان التقدم بالسن لكان في هذه الأمة من هو اسن منك . قال تكلم يا غلام . قال نعم ياامير المؤمنين نحن وفود التهنئة لا وفود المرزئة قدمنا اليك من بلدنا نحمد الله الذي من بك علينا ولم يخرجنا اليك رغبة ولارهبة . اما الرغبة فقد اتانا منك الى بلدنا . واما الرهبة فقد أمنا الله بعد لك من جورك فقال عمر (تأمل تواضع الخليفة) عظنا ياغلام !! فقال الغلام

نعم يا امير المؤمنين ان انا ساغرهم حكم الله عليهم وطول املهم وحسن ثناء الناس عليهم فلا يغرنك حلم الله عليك وطول املك وحسن ثناء الناس عليك فتزل قدمك . فنظر عمر في سن الغلام فاذا هو عليه بضع عشرة سنة فأنشأ عمر يقول

تعلم فليس المرء يولد عالما ... وليس اخو علم كمن هو جاهل
وان كبير القوم لا علم عنده ... صغيراً اذا التفت عليه المحافل

وفي سنة ١٠٠ هـ توطن شذوب الخارجي بالجزيرة فارسل عمر عباد بن المهلبي اليه ولما قدم سأله عن سبب خروجه فقال يوجد اختلاف بيننا و بينك فان ازلته تبعناك فقال وما هو فقال انك مخالف لكل سلفائك

فاما هم على هدى او على ضلال فان كانوا على ضلال فالعنهم

فرد عليه سيدنا عمر بن عبد العزيز بما يثبت انه على هدى بدليل الكتاب والسنة ثم قال لا يجوز لعن الكافر فكيف يسوغ سب من شهد ان لا اله الا الله وانما محمداً رسول الله

وفي سنة ١٠١ هـ توفى عمر بن عبد العزيز بدير سمعان من اعمال حمص مما يلي بلاد قنسرين يوم الجمعة في ٢٥ رجب من هذه السنة وكان عمره ٣٩ سنة وذكر المسعودي لما وصل خبر موت عمر بن عبد العزيز على ملك الروم رمى التاج عن رأسه ولبس ثياب الحزن فقال له اكابر دولته لم ذلك قال قد ورد على كتاب بوفاة ملك العرب الصالح فلم يملكوا انفسهم جميعا من البكاء عليه

﴿ شيء من احكامه العادله ﴾

اشتهر هذا الخليفة بالعدالة في احكامه ومراعاة الذمة في كل تصرفاته ولا غرو في ذلك فانه لم ينل الخلافة الا عن جدارة شخصيه وكفاءة ذاتية وليس من سبيل الارث والمحاباة كما كان شان بعض الخلفاء الذين سبقوه

قال فرات ابن الفائب : قال عمر بن عبد العزيز لامرأته فاطمة بنت عبد الملك وكان لديها جواهر امرها بها ابوها لم ير مثلها في النفاسة وعلو القيمة . اختاري احد امرين اما ان تردي حليك الى بيت المال واما ان تاذني لي بفراقك فاني اكره ان اكون انا وانت وهو في بيت واحد .

قالت بل اختارك عليه وعلى اضعافه فامر به حتى حمل ووضع في بيت مال المسلمين

وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز اليه ان مدينتنا قد خربت فان رأى امير المؤمنين ان يقطع لنا ما لا نرمها به فعل . فكتب اليه عمر اذا قرأت كتابي هذا فحصنها بالعدل ونق طرقها من الظلم فان هذا هو تحصينها والسلام

وقال ابراهيم المسكوني

قال عمر بن عبد العزيز ما كذبت منذ علمت ان الكذب شين على اهله . وقال قيس بن جبير مثل عمر في بني امية مثل مؤمن في آل فرعون وقال ميمون بن مروان ان الله كان يتعهد الناس بنبي بعد نبي وان الله تعاهد الناس بعمر بن عبد العزيز

وليس بعد باجمل من هذا الوصف الذي رفعه به الى درجة الانبياء وحقيقة ان لا نبي بعد الرسول الا كل عالم عمل بسنة النبي ونشرها

(مرضه ووفاته)

لا غرابة اذا مات عمر بن عبد العزيز مسموماً كما مات عمر بن الخطاب مقتولاً فقد قال الشاعر

ان نصف الناس اعداء لمن ولي الاحكام هذا ان عدل

ومن كان مثل هذا الخليفة لا يرضي باغتصاب اموال الناس

ويستنزف ثروتهم ليوزعها على ذوى قرباه يكون في الغالب مبغوضاً وكان في جملة من سخط على هذا الخليفة وتصمد له الاساءة والاذى بنو اميه لانهم تبرموا عليه حيث شدد عليهم وانتزع من ايديهم كثيراً مما غصبوه وكان قد اهمل التحرز فسقوه السم

وقيل انه دعا غلاماً له فقال له ويحك ما حملك على ان تسقيني السم قال الف دينار اعطيتها وعلى ان اعتق فقال له هاتها فجاه بها فالقاها في بيت المال وقال اذهب حيث لا يراك احد . وهذا منتهى العدل والمروءة لانه لو اراد ذلك الخليفة ان يقتص من ذلك المجرم الذي تصمد قتله واعترف بجريمته لكان اقل عقاب له الاعدام لا ان يطلق سراحه حراً ويعفوا عنه

ولما مرض قيل له الا تتداوى فقال لقد علمت الساعة التي شفيت فيها ولو كان شفائي ان امسح شحمة اذني او اوتي بطبيب ادفعه الى انفي ما فعلت وقال يزيد بن حسان لما احتضر عمر بن عبد العزيز قال اخرجوا عني فقعد مسلمه وفاطمه على الباب فسمعاه يقول مرحباً بهذه الوجوه ليست بوجوه انس ولا جان . ثم قال تلك الدار الاخرة (الايه) ثم هدأ صوته فدخلوا فرأوه قد قبض رضى الله تعالى عنه

(وصيته الى ولي عهده)

كتب عمر بن عبد العزيز الى ولي العهد من بعده :—

بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله عمر الى يزيد بن عبد الملك

سلام عليك فاني احمد اليك الله الذى لا اله الا هو اما بعد فاني كتبت وانا دنف من مرضي وقد علمت اني مسئول عما وليت يحاسبني عليه مليك الدنيا والاخرة ولست استطيع ان اخفى عليه من عملي شيئاً فان رضي عني فقد افلحت ونجوت من الهوان الطويل وان سخط عليَّ فيا ويح نفسي الى ما اصير اسأل الله الذي لا اله الا هو ان يجيرني من النار برحمته وان يمن عليَّ برضوانه فعليك بتقوى الله والرعية . الرعية فانك ان تبقى بعدى الا قليلاً والسلام

هذه وصية امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الخليفة الذى تولى على رأس القرن الثاني من الهجرة تراها قد جمعت فاوعت ما يهم الوقوف عليه من صفات هذا الخليفة لا سيما فيما يختص بنصحه لولي عهده بان يراقب الله في رعيته وان يحترم شعور الشعب وهذا شأن السلطان العادل فانه يعلم انه لم يكن سلطاناً الا برضى رعيته وتأييدها له وان يوم تنفر منه تلك الرعية وتبتعد قلوبها عنه لا بد من سقوطه ولو أوتي ملك الاولين ولو كان له من الصولة والسطوة ما يفوق حد الوصف والتعبير

ولا يهمه رعيته وشعورها الا الملك الدستوري وهذا يدل على ان المبادئ الدستورية العالية كانت معروفة لدى خلفاء المسلمين وانها ليست بدعة جديدة ظهرت في هذا العالم بفضل الحضارة الغربيه فان هذه المبادئ التي ينشدها الشعوب العاملون على نيل الدستور ظهرت ظهوراً تاماً في وصية هذا الخليفة وتجلت باجلى مظاهرها

***

هشام بن عبد الملك

هو هشام بن عبد الملك بن مروان ولي الخلافة سنة ١٠٥ لما مات اخوه يزيد بن عبد الملك بعهد منه . كان بالرصافة فجاءته بشرى الخلافة على البريد فركب من ساعته وسار الى دمشق وبويع فيها الخلافة وكان متنعماً . قالوا ولم يكن في بني مروان أعطر ولا ألبس من هشام .

كان محباً للعمران مستجداً في ادوات الزينة . متناهياً في تربية الخيل متباهياً بها وهو الذي أقام الحلبة وجمع فيها أربعة آلاف فرس

ولع بجودة السلاح وعدد الحرب ومهماتها يشغف بتقوية الحصون وتقوية الثغور وهو الذي شاد المعاقل صيانة للبلاد واتخذ القنى والبرك بطريق مكة وغيرها رحمة بالعباد

كان حازماً سديد الرأي غزير العقل عالماً بالسياسة وأشتدت في ايامه الدعوة لبني العباس وثارت روح العصيان في الاحزاب المرشحة للخلافة واستمرت حروب أخرى وقوى الله المسلمين عليها فانتصروا وغنموا اشياء كثيرة وفاز عسكر اسد بن عبدالله القسري في [illegible] وقتل خاقان الترك ودخل بلاد فرغانة وخوقند بعد الفتح والتعب والنصب والجهد الجهيد وقتل الكثير . وغزا عامله ايضاً نصر بن

بلاد (ما وراء النهر) ففتح وغنم منها خيراً عظيماً

وما اتى عام ١٠٦ حتى حج هشام بن عبد الملك امير المؤمنين بالناس ولم يصرفه توجهه للحج عن مراعاة ولاياته فقد ولى خالد بن عبد الله اخاه على خراسان ومسلم بن سعيد بفرغانه وولى الحر بن يوسف بن يحيى الحكم بن ابي العاص على الموصل وهو الذي بنى المنقوشه دار يسكنها وقد سميت بهذا الاسم لانها كانت منقوشة بالعاج والرخام والفصوص الملونة وما شاكل ذلك من انواع الزينة والزخرف وهذا الحر الذي عمل النهر الذي كان بالموصل وسبب ذلك انه رأى امرأة تحمل جرة وكانت ترفعها قليلاً ثم تستريح قليلاً لبعد الماء فكتب الى هشام بذلك فأمر بحفر نهر يخفره وشرب اهل البلد من هذا النهر

وفتحت في ايامه قيصرية الروم بالسيف وغيرها على يد (البطال) الشجاع المشهور وغزا مروان بن محمد بن مروان عامل الجزيرة وارمينية (بلاد صاحب السرير) ورتب عليه الجزيه

تولى الخلافة والفتن ببلاد المغرب على قدم وساق منتشرة في ارجاء البلاد وكان البربر قتلوا عامله بشر بن صفوان فولي عليها بعده عبيدة بن عبد الرحمن السلمي ثم رأى ان ليس برجل زمنه فولى المبادى بجميد الله الحجاب وكان رئيساً نبيلاً واميراً جليلاً وخطيباً مصقعاً تاماً فاستعمل على الاندلس عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي

عبد الرحمن هذا من اصحاب الهمم العالية فتقدم للغزو في

بلاد الفاله (١) وانتصر في غزوات كثيرة رجع منها منصوراً غانماً وتقدم حتى وصل الى مدينه (بردال) او (برديل) ٢ بفرنسا ودخل كثير من تلك البلاد في الاسلام وعزم على فتح بقية اراضي الفاله فقطع جبال البرنات (٣) وفتح الحصون والمدن وامتدت عساكر الاسلام في بلاد (الكتسانيه) و (بورغنيه)

دهم الفالين ما دهمهم من هذه الجيوش الجرارة واشتد بهم ما حل بالبلاد من الخراب والدمار فانتخبوا فارساً منهم يقال له (كرلوس) من حاشية الملك كان مقداماً ذا دهاء وفطنة محبوباً عند اصحابه وهو المسمى في كتب العرب (فارله) وعند الفرنج (شارل مارتيل)

جمع الاهالي وامرهم ان لا يعترضوا العرب ولا يعارضوهم ولا يخاطروا بانفسهم وخطب فيهم خطبة لو وجدت لها من العرب والمسلمين في ذلك الوقت اذاناً صاغية لكانت ثمناً لكل ما خسرته الامة الاسلامية الى الآن

خطب في قومه بما معناه « الرأي عندي ان لا تعترضوا العرب فانهم كالسيل المنحدر يجرف ما يصادره وانهم في اقبال امرهم عقدوا نيتهم وجمعوا امرهم فاصبح الرجل منهم يغني عن كثرة العدد واتحدت

---

١ القبائل الاصلية الفرنساوية

٢ بردال هي بردو ميناء على خليج غسقونيا ومشهورة بالخمر

٣ هي جبال في الشمال الشرقي للاندلس معتبرة الان حداً بين فرنسا واسبانيا

قلوبهم فصارت اشد من مصانة الدروع . فاهملوها حتى تمتلىء الايدي من الغنائم ويتخذوا المساكن ويتنافسوا في الرئاسة ويستعين بعضهم على بعض فاذا كان كذلك فأنتم تتمكنون منهم بايسر ما يكون »

كأنما كان منطقه موكلاً ببلاء ظهور الفتنة التي طرأت بين الشاميين والبلدنيين والبربر والعرب والمضرية واليمانية واستعان المسلمون على بعضهم ببعض بل على بعضهم بمن يجاورهم من الاعداء

نظر هذا الرجل الحكيم فرأى ان الخصال التي تحيط الامه بالكوارث (كالترف والاسراف والتبذير والانغماس في النعيم الذي اباد الامم والحضارة التي تؤدي الى فقد العادات الشريفة وتمين على الاضطراب وتفريق القوى الجامعة وقطع الصلة وتجديد الخصومات والحسد الذي هو مقام الحدود الحاجزة بين النفوس وبعضها) حائمة بين جيوش العرب وجموع المسلمين

وقد بلغ بنبوئته بما سيؤول اليه حال العرب بعد الانتصارات ان دب بينهم ذيب الانقسام والتفرق وشغلتهم لذة الظفر عن اخذ الحوطة والحذر وقد استرسلوا وقادوا في العداء فكان الضعف ينخر عظامهم والفرنسيون يجمعون شملهم

فلما لم يحترز المسلمون من تدرج خصال السوء بينهم وساروا بحسب اهوائهم ولم يقتدروا على تقويم المعوج واصلاح الخلل ومداواة العلل والظهور بمظهر التفوق الذي انوا فيه بالعجب العجاب وثبت لهم انهم فارقوا ادب الدين فاجأهم هذا القائد بغتة وحاربهم بتفرقهم باختلاف

كلتهم بسوء رأيهم . باضاعة حزمهم وحرمة دينهم

جمع شارل جنوده مع ما انضم اليهم من جنود المانيا التي باتت مهددة بما وقع لجارتها (فرنسا) وتقابل بجيشه مع العرب بين مدينتي (طور وبراتينيه) بغتة فتقابل الجيشان بل اشتبك الشرق والغرب وتحاربا سبعة ايام انجلت فيها الواقعة عن هزيمة العرب وقتل عبد الرحمن وانتشر خبر هذا الانتصار في كل اوربا فتهللت الوجوه واطمأنت القلوب وقطع هذا الانكسار على العرب فتح فرنسا الذي كانت تفكر فيه زمناً بعيداً

وليس ما وقع من العرب باغرب مما قدمت عليه اوربا ربة المدنية ومنبع الحضارة اليوم فانها بدلاً من ان تحفظ لهذا القائد الذي جعلها امنة من العرب بعد ما كانت مهددة بالدمار امام جيوشهم حق شجاعة وبسالة حكمت عليه بعد ما اظهره من الدهاء والسياسة بالهلاك وتعذيب اولاده مكافأة له على ذنبه العظيم الذي ارتكبه وما هو . . الا ان استخدم في هذه الحرب اموال الاساقفة والكهنة . . فتأمل »

﴿ عود الى هشام بن عبد الملك ﴾

ومن فضائل هشام انه كان لا يدخل بيت ماله مالاً حتى يشهد اربعون انه قد اخذ من حقه واعطى منه كل ذي حق

وبقي في عهده جامع الزيتون بتونس وهي دار العلم بها للآن

وهو الذي اقام بها دار الصناعة [1] لانشاء المراكب الحربية

وتم ذلك وغزت المراكب جزيرة صقليه وضرب على اهلها الجزية

ثم بعثت جنوده غازية الى الجنوب حتى جاوزوا السوس الاقصى ودخلوا الى السودان ورجعوا منها بالغنائم الوافرة . وهو الذي بنى الرصافة وابتنى فيها قصراً وزاد في عمرانها وحضارتها

ظهرت في عهده بدعة الخارجية في البربر ونلقتها رؤوسهم عن عرب العراق المنتقلين الى المغرب نزعوا بها الى الاطراف داعين اغمار الامم اليها حتى عسى ان تكون لهم دولة فاستحكمت صقفتها في طغام البربر ووشجت فيهم عروقها فكان ذلك من اقوى البواعث والاسباب في خرق حجاب الهيبة على الخلفاء وانتقاض البربر على العرب ومزاحمتهم لهم في سلطانهم . ولما بلغ الخبر بذلك الى الخليفة هشام عزل عبيد الله عن المغرب وكتب اليه بالقدوم وعين كلوم بن عياض ووجه معه جيشاً كثيفاً لقتال الخوارج يبلغ ٨٠ الفاً من المقاتلين وبعد قتال شديد مع البربر هزم جيش الخليفة وتفرق ايدي سبا فقامت القيامة ووجه حنظله بن صفوان الكلبي والياً على المغرب والتقى مع العصاة خارج القيروان بمكان يدعى الاصنام فهزمهم بعد قتال ابلى فيه بلاءً حسناً وكتب الى الخليفة بذلك ففرح فرحاً شديداً ثم ولي حنظلة بن الخطار حسام بن ضرار الكلبي من قبله والياً على الاندلس فاستقام له بها الامر حيناً من الدهر ولم يزل حنظله على المغرب في احسن حال الى ان

[1] دار صناعة اي (ترسخانه) المستعملة الان وهي معروفة .

تطرق الخلل الى الخلافة بالمشرق وخفت صوتها لما حدث في بني امية من فتنة الوليد وما كان من امر الشيعة مع مروان آخر خلفائهم

يرى القارئ ان بلية الامة الاسلامية في هذا العهد من ابنائها جنسها وملتها اشد من بليتها من اعدائها . مئون الجيوش المقاتلة التي جهزها هشام لقتال رعاياه الخارجة عليه اكثر مما جهزه لفتح البلاد المناوئة له ولا شك ان الاستظهار على الخليفه ومقاتلة جموعه وجيوشه لا يكون الا من فساد القلوب والنيات ومفارقة ادب الدين امثال هذه العصائب الخارجة

قلنا ولا نزال نقول ان الصبغة الدينيه تذهب بالتحاسد والتنافس وتفرد الوجهة الى الحق والاستبصار بالامور والتساوى في المطلب والاستماتة على العهد . نعني في جانبها الاغراض المتباينه ويمحق الباطل ويخذل وذلك من شدة تقوى القلوب وسلامة الصدور وتفاوتها . ولذلك لم يقف للعرب اول امرهم احد ولم يغلبوا على ما بايديهم لان الاجتماع الديني ضاعف قوة عصبيتهم

لا نجد ضعفاً في دولة الاسلام الا وسببه فساد العقيدة يدخل هذا الفساد بين العصابة وكان سميها واحداً في الذب عن الحوزة باقصى مرامي العز والصولة فما تلبث الا وقد فشل رأيها ودبت المذلة والاستعباد ثم يتمادى هذا الطغيان حتى تكثر الزنن الشر والسفيهة اياه وتذهب خلال البر والخير

حتى

﴿ خطبة شارل مارتيل ﴾

لم يمر على القارئ في تاريخ هشام بن عبد الملك اهم مما فاه به شارل مارتيل من كلمات الحكمة والسداد التي كانت تنبئوا بما سيكون في المستقبل ولعمري ان رجلاً شهر بالدهاء وقوة العارضة لجدير بان ينطق بالغيب عن تجارب واستنتاجات . وقد اوردناها ليقرأ المسلمون وليردد صداها امراء الاسلام الذين انقسموا على انفسهم وتحزبوا عليهم بعد مراجعة تاريخة العرب وحرب فرنسا يصححون خطأهم قبل ان يكونوا عبرة في التاريخ ويتالهم ورعيتهم ما نال المسلمين بالاندلس .

وليكن لهم اسوة بالخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم اجمعين فقد كانت جميع الولايات تحت امرة سلطان واحد يعين على امارته الواسعة واملاكه المتنائية ولاة يختارهم بخبرته . فكان الاسلام قوياً وسطوته فوق كل سطوة

اما واليوم وقد تفرقوا احاداً واستقل كل امير بولايته وخدعه جنده وملكه فقد ضاع استقلال البعض ووقع تحت رحمة اوروبا وما بقي تنخر عظامه المدنية الحديثة وثيار الفساد نسأل الله ان يلهم حسان العرب ويلهم امراءه الرشد فينضموا تحت امرة سلطان واحد حتى تقوي دولة الاسلام ويمتع المسلمون بعزيمتهم وقوة سلطانهم

موسى بن نصير

الامير موسى بن نصير هو مولى عبد العزيز عم الوليد بن عبد الملك كان والده نصير على جيوش معاوية رضي الله عنه . وكانت ولادة موسى في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب

كان موسى بن نصير رجلاً عاقلاً كريماً شجاعاً ورعاً تقياً تولى افريقيا وغزا الغزوات العديدة فلم ينهزم له جيش قط وكان كثير المغنم حتى قالوا لم يسمع في الاسلام بمثل سباياه قط . وما ولى افريقية في سنة ٨٧ حتى اخذ في رتق الفتق ولم الشعث واصبح ما خلف مصر الى المحيط الاطلانطي بين بلاد البربر والاندلس تحت امرته ينظم احوالها ويؤسس نظامها ويقيم قسطاس العدل بين اهليها وينير ابراس الحق فيها حتى احبه الناس واثروه على ارواحهم

جاء الامير موسى والقى العصى وخطب بين الناس حين توليته خطبة جذبت القلوب اليه والتف القوم بعدها حواليه ولا عجب فانه الامير الذي يقول في خطابته « انا رجل كأحدكم فمن راى مني حسنة فليحمد الله وليحض على مثلها ومن رأى مني سيئة فلينكرها فاني اخطئ كما تخطئون واصيب كما تصيبون) فأسر بكلماته الدستورية قلوب رعاياه فرفعوه منزلة تكافيء ما منحهم اياه من حق محاسنه وقدروا كلماته حق قدرها ورفعوه الى مكانته التي يستحقها: كما حفظ لهم حق انكار خطئه

ورده الى الصواب فكانوا له عوناً وسلاحاً امكنه مع التفاف القلوب حوله وتفاني قومه في حبه وطاعته ان يبلغ من الآمال ما طمحت اليه نفسه من العزة والمنعة ما لا يبلغه والٍ يرى انه من طين ورعيته من طين اخر :

بلغ موسى بن نصير بفتوحاته العظيمة واعماله الكبيرة ان ادهش الوليد بن عبد الملك وخاف ان يخرج عن طاعته . ولا عجب فمن كانت نفسه تريد الوصول الى المشرق من طريق القسطنطينية بعد اختراق الممالك الاوربية لهو في درجة الفاتحين الكبار والابطال الذين سخروا بالعقبات

لا عجب اذا كانت اعماله مدهشة ومثله الذي يأتي بخوارق العادات من حكمة وهمة فما تولى على برقة من افريقية الا وطمحت نفسه ان يصل ما بعدها بلاد تونس والجزائر وقد توجه اليها وكان قدومه مخوف بحيث كان المسلمون لا يقدرون ان يبرزوا في الميدين لقرب العدو منهم . ولما وصل موسى الى جبال الاطلس ونظر الى علوها وما حولها جمع الناس ثم صعد فوق ربوة وحمد الله واثنى عليه ثم قال :

ايها الناس انما كان قبلي على افريقية احد رجلين مسالم يحب العافية ويرضى بالدون من العطيه ويكره ان يكلم ويحب ان يسلم او رجل ضعيف العقيدة قليل المعرفة راض بالهوينا . وليس اخو الحرب الا من اكتحل السهر واحسن النظر وخاض القمر وسمت به همته ولم يرض بالدون من المغنم لينجو ويسلم دون ان يكلم او يكلم ويبلغ النفس عذرها في غير خرق يريده ولا عنف يقاسيه متوكلاً في حزمه جازماً

في عزمه مستزيداً في علمه مستشيراً اهل الرأي في احكام رأيه متحنكا بتجاربه ليس بالمتجابن اقداماً ولا بالمتخاذل احجاماً ان ظفر لم يزده الظفر الا حذراً . وان نكب اظهر جلادة وصبراً راجياً من الله حسن العاقبة و بعد فان كل من كان قبلي كان يصمد الى العدو الاقصى ويترك عدواً منه ادنى ينتهز منه الفرصة ويدل منه على العودة ويكون عوناً عليه عند النكبة وايم الله لا اريم هذه القلاع والجبال المتمنعة حتى يضم الله ارفعها و يذل امنعها ويفتحها على المسلمين بعضها او جمعها او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين

ثم وجه موسى خمسمائة فارس عليهم رجل من خشين يقال له عبد الملك الى قوم من البربر لينزعوا من كانوا ينتهزون الفرص للاغارة على المسلمين فهزمهم الله وقتل صاحبهم وفتحها الله على موسى فبلغ سبيهم يومئذٍ عشرة الاف رأس وانه كان اول سبي دخل القيروان في ولاية موسى ثم وجه ابناً له اسمه عبد الرحمن بن موسى الى بعض نواحيها فاتاه بمائة الف رأس ثم وجه ابناً له يقال له مروان فاتاه بمثلها فكان الخمس يومئذٍ مئتين الفاً

(قدوم كتاب الفتح على عبد العزيز بن مروان)

ارسل موسى الى عبد العزيز بن مروان بمصر يخبره بالذي فتح الله عليه وامكن له ويعلمه ان الخمس بلغ مئتين الفاً فكتب الكاتب

ثلاثين الفاً خطأ منه فلما قرأ عبد العزيز الكتاب دعا كاتبه وقال له اقرأ هذا الكتاب فلما قرأه قال هذا وهم من الكاتب فراجعه فكتب اليه اليه العزيز : انه بلغني كتابك وتذكر فيه انه قد بلغ خمس مما افاء الله عليك ثلاثين الف رأس فاستكثرت ذلك وظننت ان ذلك وهم من الكاتب فاكتب لي بعد ذلك على الحقيقة واحذر الوهم .

فلما قدم الكتاب على موسى كتب اليه . بلغني ان الامير ابقاه الله يذكر انه استكثر ما جاءه من العدة التي افاء الله عليّ وانه ظن ان ذلك وهم من الكاتب فقد كان ذلك وهماً منه على ما ظنه الامير والخمس ايها الامير ستون الفاً حقاً ثابتاً بلا وهم

وقد اخبر بذلك امير المؤمنين عبد الملك بن مروان فوجه رجلاً الى موسى ليقبض ذلك على ما ذكر موسى في خطابه وعند قدوم الرسول دفع موسى اليه ما ذكر وزاده الفاً للوفاء

وفي ذلك ما ادع القارىء وحده يقدر عمل موسى الذي جعله اعجوبة وعده عبد العزيز وعبد الملك بن مروان خارقاً للعادة ولا عجب فان ما اتاه من الفتح والظفر وما ناله من السلطة والسيادة يكفي لرفعه الى مستوى اكبر القواد وعظماء الرجال وابطال الاسلام . فان سروره بما حازه من الثقة لدى امير المؤمنين لم يركن به عن مواصلة الفتح وارسال انظاره الى ما هو اكبر من ذلك فقد ارسل عباس بن اخيل لى هوارة وزناته في الف فارس فاغار عليهم وقتلهم وسباهم ونال خيراً

كثيراً واسر عدداً كبيراً منهم وانتهت على مسالمتهم لموسى ومصالحتهم اياه ودخولهم تحت حكمه

ولم يأخذ في اسباب الفتح بالاعتماد على ارسال الجيش لمهاجمة الجيش الأخر تحت امرة من يثق فيه من قواده المدربين فقط بل كانت له عيون تأتيه بأخبار الولايات وما فيها فبينا تراه اليوم يجهز جيشاً الى الجنوب تراه يعلم ما في الشرق والغرب من قوات الاعداء وحالة بلادهم ولقد وفق لفتح صنهاجة وبلغ فيها ما يضم الى ما بلغه من اثار البطولة واعمال مهرة الرجال وكان ذلك ان اخبره الجواسيس ان صنهاجة في غفلة عنه ولم يكن لديها جيشاً مدربا فأغار عليها موسى بأربعة الاف من اهل الديوان والفين من المتطوعة ومن قبائل البربر وحلف عياشا على اثقال المسلمين فسار موسى حتى غشى صنهاجة ومن كان معه من قبائل البربر وهم لا يشعرون فاستولى عليهم و بلغ يومئذ سبيهم مائة الف رأس ومن الابل والبقر والغنم والخيل والحرث ما لا يحصى ثم انصرف قافلاً الى القيروان

وقد مكث بعد هذا العام (٨٠) ينظم البلاد التي بسط سلطانه عليها ويحكم حفظها حتى لا تخرج عليه بعد الطاعة وما وافى عام ٨٣ حتى تأهب لغزو وفتح جديد فقصد (صجوما) وما حولها واستخلف عبدالله بن موسى على القيروان ثم خرج وهو في عشرة الاف من المسلمين وعلى مقدمته عياض بن عقبة وعلى ميمنته زرعه بن ابي مدرك وعلى ميسرته المغيرة ابن ابي بردة القرشي واعطى اللواء ابنه مروان فسار الى مكان يقال

له سجن الملوك خلف بن الاثقال وتجرد في الخيول وخلف على الاثقال عمرو بن اوس في الف وسار بمن معه حتى انتهى الى نهر يقال له ملويه فاجتازه ومن معه وتأهبوا للحرب فاقتتلوا مع الاعداء قتالا شديداً في جبل منيع لا يوصل اليهم الا من ابواب معلومة ولبثوا في الحرب يوم الخميس والجمعة ويوم السبت الى العصر والحرب قائمة ثم خرج اليهم رجل من القواد فوقف والجنود مصطفة فنادى بالمبارزة فلم يجبه احد فالتفت موسى الى مروان ابنه فقال له اخرج اليه اي بني فخرج اليه مروان ودفع اللواء الى اخيه وتبارز الخصمان فضرب مروان القائد وطعنه طعنة فهوى الى الارض ثم اشتبك الجيشان وانجلت الواقعة عن هزيمة البربر اهل هذه البلاد فمنح الله موسى اكتافهم وقتل ملكهم كسيلة ابن ملزم وبلغ سبيهم مائتي الف رأس فيهم بنات كسيلي وبنات ملوكهم وما لا يحصى من النساء ولما وقفت بنات الملوك بين يدي موسى قال لمروان اي بني اختر فاختار بنات كسيلة وقد سر هذا الفتح المبين المسلمين فقالوا الاحمل موسى قائدهم العظيم على الاكتاف حتى يدخلوا القيروان

﴿ غزوة موسى في البحر ﴾

لم تقف همة هذا البطل عند فتح البر وغزوات البربر والنصر الذي حازه بل نفسه العالية وهمته الكبيرة ابيا الا ان يغزو في البحر ليحوز فيه ما حازه في البر

فأمر ببناء دار صناعة بتونس واجرى البحر اليها مسيرة اثني عشر

ميلاً حتى تمت فصارت ملجأ للمراكب اذا هبت الانواء والارياح ثم أمر بصناعة مائة مركب وفي عام خمس وثمانين امر الناس بالتأهب لركوب البحر واعلمهم انه راكب فيه بنفسه فرغب الناس وتسارعوا ثم شحن فلم يبق شريف من كان معه الا وقد ركب حتى ركب في الفلك ولما لم يبق احد دعى برمح فعقده لعبد الله بن موسى بن نصير وولاه عليهم ثم امره ان يسير من سبتة ثم سار عبد الله بن موسى في مراكبه وكانت تلك اول غزوة غزيت في بحر افريقيا فاصاب في غزوته تلك صقلية فافتتح مدينة فيها واصاب ما لايدري فبلغ سهم الرجل مائة دينار ذهباً ومن الغريب ان موسى لم يوجه همته نحو البحر فقط بل ظل يرمق باقي بلاد البربر ليفتحها فارسل زرعة بن ابي مدرك الى قبائل من البربر فلم يلق حرباً منهم ورغبوا في الصلح فوجه رؤوسهم الى موسى ليعقدوا الصلح فاعطاهم موسى الامان وقبض رهونهم

ثم عقد لعباس بن اخيل على مراكب اهل افريقيا فشتا في البحر واصاب مدينة سرقوسة فافتتحها وقفل راجعاً . ثم ان عبد الله بن مرة قام بطالبة اهل مصر على موسى في سنة تسع وثمانين فعقد له موسى على بحر افريقية فاصاب سردانية وافتتح مدائنها وبلغ سبيها ثلاثة الاف رأس سوى الذهب والفضة والحرث وغيره

وقد وجه موسى مروان ابنه الى السوس الاقصى وملك السوس يومئذٍ مزدانة الاسواري فسار في خمسة الاف والتقى مروان ومزدانه فاقتتل الجيشان قتالا شديداً ثم انهزم مزدانه ومنح الله مروان اكتافهم

فقتلوا قتلة الفناء فكانت تلك الغزوة استئصال اهل السوس على ايدي مروان ثم عقد موسى على بحر افر بقيه حتى نزل بيورقه فافتتحها

جاء موسى والقى العصى وصار بجيشه الضخم يكمل ما ابتدأه طارق ففتح باقي بلاد الاندلس واخترق جبال البرنات الى فرنسا ولولا طاعته للخليفة لفتح فرنسا والمانيا و باقي اوروبا

﴿ كلمة عن موسى بن نصير ﴾

كان الامير موسى بن نصير مع تقدمه في السن وما علاه من خط الشيب مقداماً يعشق المجد و يصبو الى الافتتاح وغزو البلاد . حازماً عاقلا ذا سياسة جليلا . كان في نيته ان يتقدم فيفتتح فرنسا وايطاليا ثم يمر بجانب المانيا الى النمسا الى الاستانة الي اسيا الصغرى ويصل لمقر الخلافة

لم يكن يبني هذه الصروح على الهواء لان سطوته في هذا الوقت كانت امتدت الى اعماق القلوب وعدوى الخوف والفزع من جيوش العرب عمت جميع اولئك السكان وسرت من بلد الى بلد ولكن اتاه رسول الوليد يأمره بالحضور فأطاع هذا الفاتح امر خليفته واوقف جيوشه عند حدها مع انه كان من السهل عليه الخروج على خليفته لما كان من سعة قوته وسعة ولايته وقد قدر آل العرفان ان ما كان يجنى من الاندلس في ذلك الوقت يعدل مداخيل اوروبا وهذا النمو انما كان من نتائج الحرية وعدم التعرض لاحد في ماله وعرضه ونفسه ونشر الوية الاحكام الدستورية على ربوع البلاد

صلاح الدين الايوبي

صلاح الدين الايوبي هو السلطان الملك الناصر صلاح الدين ابو المظفر يوسف بن ايوب موسس الدولة الايوبية بديار مصر وصاحب الديار المصرية والشامية والعراقية واليمانية الفارسي المشهور وصاحب الفتوحات العظيمة والمواقع الكثيرة مع الافرنج في الحروب الصليبية

ولد هذا البطل بقلعة تكريت سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٧ م) وتربى في كنف ابيه حتى ترعرع ولما ملك نور الدين محمود بن زنكي دمشق لازم خدمته نجم الدين وولده صلاح الدين وكانت مخايل السعادة والتقدم تلوح عليه ونور الدين يرى ذلك منه ويؤثره ومنه تعلم صلاح الدين طرائق الخير وفعل المعروف والاجتهاد في امور الجهاد فلما خرج اشيركوه الى مصر امر نور الدين صلاح الدين ان يسير معه فسار على كره منه فكان ذلك سبب نجاحه وتملكه البلاد . وجعله شيركوه على مقدمة عسكره فدخلوا مصر واستولوا عليها

ولما مات شيركوه قام صلاح الدين بالامة بعده في وزارة العاضد لدين الله العبيدي اخر الدولة العلوية بمصر فقرر القواعد ومهد الامور واصلح الاحوال وبذل الاموال وملك قلوب الرجال وتاب عن شرب الخمر واعرض عن اسباب اللهو وسلك سبيل الجد والاجتهاد وقد هانت

لديه الدنيا وطلع نجم سعده مبشراً بما سيكون له من السلطان

وكان منذ استتب له الامن في وزارة مصر يشن الغارات على الافرنج الى الكرك والشوبك وغيرهما من البلاد وكثر انعامه على الناس وكان يتفقد اهل العلم والفقه وما زال يعمل لجذب القلوب اليه حتى ملكها فلما علم الافرنج سلطته وقوة جنده وعساكره اجمعوا على قصد مصر خوفاً من استيلائه عليها ووصلوا الى دمياط فتجهز صلاح الدين وسار اليهم وجعل يشن الغارات عليهم ويشجع اصحابه ويبذل لهم الاموال ويشد عزائمهم ويقوي قلوبهم باقدامه وبسالته وحسن تدبيره الى ان انتصر على الافرنج واخرجهم يجرون ذيل الخزي والانكسار.

ثم ارسل صلاح الدين الى والده فحضر ورأى ما لولده من العظمة والتوفيق فقال له (يا ولدي ما اختارك الله لهذا الامر الا وانت كفوء له) فاستمر صلاح الدين على الوزارة وهو يدبر الامور بذمة وحزم حتى مات العاضد لدين الله

وفي سنة ٥٦٦ هجريه سار صلاح الدين الى بلاد الفرنج فأغار على اعمال عسقلان والرمله وهجم على ربض غزة واتاه ملك الفرنج في قلة من العسكر مسرعين لرده عن البلاد فقاتلهم وهزمهم وعاد الى مصر فعمل مراكب مفصلة وحملها قطعاً على الجمال في البر وفي ليله ركب المراكب والقاها في البحر وحصر (ايلة) براً وبحراً وفتحها في ربيع آخر وعاد الى مصر وكان بمصر دار للشحنة تسمى دار المعونة يحبس فيها المجرمون فهدمها صلاح الدين وبناها مدرسة للشافعية وازال ما كان

من الظلم و بنى دار العدل مدرسة للشافعية ايضاً وعزل قضاة المصريين وكانوا شيعة واقام قاضياً شافعياً فانتشر القضاة الشافعية في كل البلاد ولم يزل صلاح الدين على بسط العدل ونشر الاحسان والانعام الى سنة ٥٦٨ فعندئذ خرج بالعسكر يريد بلاد الكرك والشوبك و بدأ بها لانها كانت اقرب اليه وكانت في الطريق تمنع من يقصد الديار المصرية وكان لا يمكن عبور قافلة حتى يخرج معها بنفسه فاراد توسيع الطريق وتسهيلها فحاصرها وجرت بينه وبين الفرنج وقعات لم يظفر منها بشيء فعاد الى مصر فوجد اباه قد مات ولم يكن مريضاً بل كان راكباً فنفر به الفرس فسقط فمات بعد ايام من ذي الحجة من السنة المذكورة

وفي سنة ٥٦٩ دخلت زبيد وغيرها من بلاد اليمن في ملك صلاح الدين كما اخذ عدن وهزم صاحبها وفي رمضان من سنة ٥٦٩ قبض صلاح الدين على جماعة من امراء مصر ارادوا الوقيعة به وصلبهم

وفي سنة ٥٧٠ بلغ صلاح الدين ان انساناً يدعى الكنز خرج عليه بصعيد مصر وجمع جمعاً بأصوان من السودان والعرب واراد اعادة الدولة العلوية فسير اليه صلاح الدين عسكراً عليهم اخوه الملك العادل فكسروا الكنز واصحابه وقتلوا الكنز ثم اطمأنت البلاد . وفي هذه السنة ايضاً استولى صلاح الدين على دمشق وكان ذلك بدء فتوحاته في الشام وذلك ان نور الدين محمود كان لا يمكنه الاستقلال بالملك لصغر سنه واختلفت الاحوال بالشام وجرت امور بين الروساء بحلب ودمشق

ادت الى مكانية صلاح الدين بالقدوم فقدم في اخر ربيع الاول وملك دمشق بالتسليم وكان الملك الصالح قد اخذ منها الى حلب واجتمع الناس الي صلاح الدين وفرحوا به وفرق في ذلك اليوم مالاً جزيلا

واقام ينظم الامور ويرتب الاموال حتى استقرت على ما اراد واستخلف بدمشق اخاه سيف الاسلام ظنتكين وسارا قاصداً حلب فملكها بعد ان قاتل عساكر مسعود واليها. وقصد ملوك بعض الافرنج حمص بعد ما استولى عليها صلاح الدين ونازلها فلما سمع صلاح الدين الخبر رحل عن حلب ووصل الى حمص وقد رحل الافرنج عنها فعمر قلعها وملكها فصار اكثر الشام بيده ثم رحل الى بعلبك وحصرها فطلب صاحبها الامان وسلمها اليه

في ١٤ ربيع اخر سنة ٥٨٣ هجرية (١١٨٧) ابتدأت وقعة حطين المعروفة عند الافرنج بوقعة طبريا وكان صلاح الدين كثيراً ما يقصد لقاء العدو يوم الجمعة عند الصلوة تبركا بدعاء المسلمين والخطباء على المنابر فسار في ذلك الوقت بمن اجتمع له من العساكر الجرارة على تعبئة حسنة وكان بلغه ان العدو اجتمع في عدة كثيرة بمرج صفوريه من ارض عكا فنزل على بحيرة طبريا على سطح الجبل ينتظر قصد الافرنج له اذا بلغهم نزوله في الموضع المذكور فلما رآهم لا يتحركون عن منازلهم نزل بفصيلة من جيشه على طبريا واخذها بساعة واحدة فقلق الافرنج لذلك ورحلوا نحوها فعلم بهم صلاح الدين فترك على طبريا من يحاصرها ولحق بجيشه فالتقى بالافرنج على سطح جبل طبريا الغربي في ٢٢ ربيع

الاخر وحال الليل بين العسكرين فباتا الى بكرة ٢٣ فتصادما والتحم القتال بارض خربة تعرف بلوبيا وكان يوماً مشهوداً لم ير مثله في الحروب الصليبيه ولم تقع شدة كشدته على الافرنج ثم حال بين الفريقين الظلام فبات كل بمقامه وعند الصباح حمل صلاح الدين بجنوده من كل جانب وصاحوا صيحة واحده بالتكبير والتهليل فبددوا جيوش اعدائهم واعتصمت طائفة منهم بتل حطين وهي قرية عند قبر النبي شعيب عليه السلام فضايقهم صلاح الدين حتى كادوا يستسلمون ولكنهم ثابروا على القتال واسرت مقدمتهم وقتل الباقي وكان عددهم في تلك الموقعة ٣٠ الفاً وفيهم كثير من الامراء والزعماء

٢٥ ربيع الاخر نزل صلاح الدين طبرية واستلم قلعتها وبعد يومين رحل طالباً عكا فبلغها اواخر الشهر وقاتلها واخذها واستنقذ من كان فيها من اسارى المسلمين وكانوا نحو ٤٠٠٠ وتفرقت العساكر في بلاد الساحل يأخذون الحصون ويفتحون البلاد فاخذوا نابلس وحيفا وقيساريه وصفوريه والناصره وكان اكثرها خالياً من الرجال . وصار صلاح الدين يطلب قلعة تبنين المنيعة بنفسه فنزل عليها في ١١ جمادى الاولى ونصب عليها المنجنيق ففتحها في ١٨ ثم تجاوزها الى صيدا وتسلمها في ٢١ واتى بيروت ونزل عليها ليلة الخميس ٢٢ وحاصرها وفتحها في ٢٩ وتسلم اصحابه جبيل وهو على بيروت . ولما انتهى من هذا الجانب رأى ان يقصد عسقلان و يصبر عن صور لان عسقلان ايسر منها فاستولى على الرملة واللدارون ولما وصل الى عسقلان اخذها وكانت بيد

الافرنج ٣٥ سنه

ولما تم له هذا الفوز عزم على طلب القدس المبارك فجمع جيشه الذي كان متفرقاً في الساحل وكان نزوله على القدس في ١٥ رجب سنة ٥٨٣ بالجانب الغربي ثم انتقل الى الجانب الشمالي في ٢٠ منه ونصب المنجنيق وضيق بالزحف والقتال حتى اخذ النقب في السور مما يلي وادي جهنم فتضايق الافرنج واخذوا في طلب الامان وسلموا القدس في ٢٧ رجب وكانت ليلة المعراج فارتفعت الاصوات بالتهليل والدعاء وصليت فيه الجمعة يوم فتحه وتقاطر العلماء والشعراء لتهنئة صلاح الدين فخطبوا الخطب ونظموا القصائد في ذكر همة صلاح الدين وتوفيقه في الحروب

وكانت اخبار انتصارات صلاح الدين وتشتت الافرنج قد ملأت اوربا فقلق اهلها واوفدوا البعثة الصليبية الثالثة وعليها فيليب اوغسطوس ملك فرنسا وريكاردوس اوريشار الملقب بقلب الاسد ملك انكلترا وكانت لهم مع صلاح الدين مدة سنين مواقع تجعل الولدان شيباً الى ان تمكنوا من فتح عكا سنة ٥٨٧ هـ . و ١١٩١ م . فرجع ملك فرنسا الى بلاده وبقي على زعامة الصليبيين قلب الاسد . ولما خامر الضجر قلوب المسلمين من المتاعب المتوالية جرت المخابرة على الصلح وعقدت هدنة ٣ سنين بين الفريقين وذلك ٢٣ شعبان سنة ٥٨٨ هـ واعطيت اكثر البلاد الساحلية للافرنج ورضي صلاح الدين بذلك وكأن الله ابقاه حياً لتبقى مدينة القدس في يد المسلمين الى ان

توفاه الله بالمرض الذي اصابه اثناء الحروب لتمكن الافرنج منها ومن سائر البلاد العربية ولما تم الصلح عم السرور ونادى المنادون بالمساوة بين المسلمين والنصارى فانتظمت احوال البلاد وانتعشت تجارتها وتقاطر الزوار الى بيت المقدس .

ثم رجع صلاح الدين الى دمشق على قصد ان يذهب منها الى القدس ثم يعود لمصر فدخل دمشق في ٦ شوال سنة ٥٨٨ وفيها اولاده . وكان يحب البلد ويؤثر الاقامة فيه فجلس للناس يكشف المظالم ويستقبل العلماء والشعراء ثم قدم اخوه الملك العادل من الكرك قاصداً البلاد الفراتية ونزل دمشق فخرج صلاح الدين الى لقائه . وفي ١١ ذي الحجة اخذ يتصيد هو واخوه واولاده يتفرجون في اراضي دمشق ومواطن الظباء وكان وجد راحة مما كان به من التعب والسهر

﴿ وفاة صلاح الدين ﴾

في ١٥ صفر سنة ٥٨٩ ركب للملتقى الحج وكان ذلك آخر ركوبه فلما عاد وجد به كسلاً عظيماً وما تنصف الليل حتى غشيته حمى عظيمة . واصبح اليوم التالي متكسلاً عليه اثر الحمى وما زال المرض يتزايد حتى توفاه الله بعد صلاة الصبح من يوم الاربعاء ٢٧ صفر وكان يوم موته يوماً لم يصب الاسلام والمسلمون به منذ فقد الخلفاء الراشدين وغشيت البلاد وحشة عظيمة وكان الناس يتمنون فداءه بنفوسهم . وهكذا حال رعية كل ملك يعمل لصالح شعبه

السلطان صلاح الدين الايوبي

محمد الثاني الفاتح

السلطان الغازي محمد الفاتح

ولد السلطان محمد الفاتح في ٢٦ رجب سنه ٢٣٠ هجرية بمدينة ادرنه وهو سابع سلاطين آل عثمان وتولى السلطنة مرتين في حياة والده السلطان مراد الثاني ولكنه كان لا يزال يافعاً فعاد والده الى القبض على ازمة الاحكام حتى توفاه الله سنة ٨٥٥ هـ فتولى الملك بعد ابيه ولم يكن باسيا الصغرى خارجاً عن سلطانه الا جزء من بلاد القرمان ومدينة سينوب[1] ومملكة طرابزون وصارت مملكة الروم الشرقية قاصرة على مدينة القسطنطينية وضواحيها وكان اقليم رومة مجزأ بين البنادقة وعدة امارات صغيرة يحكمها بعض اعيان الروم او الافرنج في حمى اسكندر بك[2] وبلاد البوسنه مستقلة والصرب تابعة للدولة العلية وما بقي من جزيرة البلقان داخلاً تحت سلطة الدولة العثمانية

وكانت عاصمة العثمانيين الى ذلك العهد مدينة ادرنه ولكنهم كانوا قد حاولوا فتح القسطنطينية غير مرة ولم يظفروا بها حتى تولى عرش السلطنة السلطان محمد الثاني فوجه نظره الى تتميم فتح ما بقي من بلاد البلقان ومدينة القسطنطينيه حتى تكون جميع املاكه متصلة لا يتخللها عدو مهاجم

(١) مدينة حصينة في شمال الاناضول على البحر الاسود بها ميناء متسعة اتخذتها الدولة العلية ملجأ لسفنها الحربية وشهيرة بما اوقعه الروس فيها من تدمير الدونانمه العثمانية سنة ١٨٥٣ م قبل اعلان حرب القرم (٢) اسكندر بك هو رجل البانى ادعى الاسلام ليخدم وطنه وكان شديد الغيرة على بلاده ضحى حياته في خدمتها والمحافظة على استقلالها

وصديق منافق لكنه قبل التعرض لفتح القسطنطينية اراد تحصين بوغازها حتي لا ياتي لها مدد من مملكة طرابزون ولما بلغ ملك الروم هذا الخبر ارسل الى السلطان سفيراً يعرض عليه دفع الجزية التي يقررها فرفض طلبه وسعى في ايجاد سبب لفتح باب الحرب ولم يلبث ان وجد هذا السبب فحاصر السلطان المدينة في اوائل ابريل سنة ١٤٣٥ من جهة البر بجيش يبلغ ٢٥٠ الف جندي ومن جهة البحر بعمارة مؤلفة من مائة وثمانين سفينة واقام حول المدينة اربعة عشرة بطرية طوبجية وضع بها مدافع جسيمة كانت تقذف كرات من الحجر زنة كل واحدة منها ١٢ قنطاراً الى مسافة ميل

ولما شاهد قسطنطين آخر ملوك الروم هذه الاستعدادات استنجد باوربا فلبى طلبه اهالي جنوه وارسلوا له عمارة بحرية فدخلت المينا رغما عن وقوف السفن العثمانية في سبيلها بعد ان رفع المحصورون السلاسل الحديديه التي وضعت لمنع المراكب العثمانيه ثم اعيدت كما كانت وبعدها اخذ السلطان يفكر في طريقة لدخول مراكبه الى المينا لاتمام الحصار براً وبحراً فخطر بباله فكر غريب في بابه وهو ان ينقل المراكب على البر ليجتازوا السلاسل الموضوعة لمنعه وتم هذا الامر المستغرب بان مهد طريقاً على البر طوله ستة اميال ورصت فوقه الواح من الخشب صبت عليها كمية من الزيت والدهن لسهولة زلق المراكب عليها وبهذه الكيفية امكن نقل نحو سبعين سفينه في ليلة واحدة حتى اذا اصبح الصباح ونظرها المحصورون ايقنوا انه لا مناص من انتصار العثمانيين عليهم

لكن لم تخمد عزائمهم بل ازدادوا اقداماً وصمموا على الدفاع عن وطنهم حتى الممات .

وفي يوم ٢٤ مايو ارسل السلطان محمد الى قسطنطين يخبره انه لو سلم البلد اليه طوعا يتعهد له بعدم مس حرية الاهالي وان يعطيه جزيرة موره فلم يقبل بذلك بل آثر الموت على تسليم المدينه فعند ذلك نبه السلطان على جيوشه بالاستعداد للهجوم في يوم ٢٩ مايو ووعد الجيوش بمكافأتهم عند تمام النصر و باقطاعهم اراضي كثيرة وفي الليلة السالفة لليوم المحدد اشعلت الجنود العثمانية الانوار امام خيامها للاحتفال بالنصر المحقق لديهم وظلوا طول ليلهم يهللون ويكبرون حتى اذ لاح الفجر صدرت الاوامر بالهجوم فهجم ١٥٠ الف جندي وتسلقوا الاسوار حتى دخلوا المدينة من كل فج

وعند ظهر هذا اليوم دخل السلطان محمد الفاتح المدينة باحتفال عظيم وقد اعجب بما اوتيه من النصر فمر بموكبه بجانب كنيسة القديسة صوفيا فاعجبه اتقانها وعظمتها فامر المؤذنين بالاذان اعلانا لجعلها مسجداً للمؤمنين ونزل بنفسه وصلى في محرابها ثم ذهب الى القصر الملوكي فسر بما شاهده فيه وفي سائر مباني المدينة من الزخرف وعول ان يتخذها مقاماً له وعاصمة لمملكته ثم اعلن في كافة الجهات بانه لا يعارض في اقامة شعائر ديانة المسيحيين واعطاهم نصف الكنائس وجعل النصف الاخر مساجد للمسلمين وترك لهم الحرية في اختيار البطريرق لهم فاختاروا جورج كورلايوس فاعتمد السلطان هذا الانتخاب ومنحه سلطة حق الحكم

في القضايا المدنية والجنائية واعطاه حرساً من عساكر الانكشارية

ولما استتب الامر للسلطان في القسطنطينيه وتعززت سطوته وتأيدت شوكته اخذ في الفتح والغزو فجرد على البلغار جيشاً وقد اجتمعت جنود اوربا لدفاعه بامر البابا كاليكست الثالث تحت قيادة هونيادس الشهير فحصلت الموقعة الاولى وظهر فيها الافرنج اولا فعظم ذلك على السلطان فهجم بنفسه في ساحة القتال فدبت في عروق الجند الغيرة واستفزتهم النخوة وطاردوا الجبن والخوف وهجموا بقلوب لا تهاب الموت وطلبوا اسوار المدينة فتساقطت عليهم النيران المشتعلة في حزم من النسيج مغمسة بالزيت والكبريت فلم يجد العثمانيين ثباتهم نفعاً واضطروا للرجوع وقد قتل منهم نحو ٢٤ الفاً

ولكن ذلك النصر كان آخر ما ناله هونيادس امام العثمانيين لانه مات بعد قليل من جروحه فعاد السلطان في السنة التالية واستولى على بلغاريا ثم ذهب الى اليونان واخضع ما كان منها لا يزال مستقلا . ثم سار واخضع الفلاخ وضرب عليهم الجزية ثم حارب البندقية وفتحها وبعد ذلك سار العثمانيون بجيشهم الظافر وجندهم الباسل لمحاربة هونجاريا (المجر) ففتحوها وتغلغلوا في اوربا تعلو رؤوسهم تيجان النصر والظفر حتى بلغوا المانيا وعادوا منها وقد رفع علمهم الخفاق على تلك الولايات والمستعمرات التي ضمت الى المملكة العثمانيه

وفي عام ١٧٤٤ حاصر العثمانيون اشكودرا في البانيا وكان قومندان حاميتها انطون لوريدانو فدافع دفاعاً شديداً ولما جاءته رسل العثمانيين

لطلب التسليم اجابهم « اني بندقي من سلالة قوم لم يجيبوا مثل هـذه الدعوة فاما ان احمي حمى وطني واما ان اموت » فشدد العثمانيون الحصار ولكن انطون لم يزدد الا ثباتاً وقوة وصرخ في جنده صرخة بدلت ضعفهم قوة وطردت عنهم اليأس حيث كشف عن صدره قائلاً « من رغب منكم التسليم خوفاً من الجوع فليقتد من هذا اللحم فانه كاف لسد جوعه اما التسليم فلا طاقة لي عليه» وكان تأثير هذا الكلام سلاحاً وذخيرة امد بها جنده فصبروا واستماتوا في سبيل المدافعة عن وطنهم وقد فاز الذين سبقوهم بمثل هذه البسالة فرجع العثمانيون ولم يفتحوها .

ثم حارب العثمانيون اهل ملدافيا وظفروا بهم فعادوا على اسكودار ولكن كانت النتيجة هي واحدة حيث قام راهب وكان خطيباً مصقعاً فحمل الناس على الحرب والثبات وما زال الحصار عليهم حتى عقدت معاهدة الصلح مع البندقية وكانت قضية باستيلاء العثمانيين على تلك المدينة والتوسعة لتجارة البندقيين

وفي اثناء حروب السلطان محمد الفاتح مع الأمم الاوروبية لم يغفل عن ارسال جيوشه الى البلاد الاسيوية فاضافت ولايات جديدة للسلطنة اذ افتتحت سنة ١٤٨٠ م بلاد الكرمان ثم وجه وجهه شطر ممالك ايطاليا فاحتل اوترانتو وكان رضى الله عنه يجهز الجيوش الجرارة لغزو شبه جزيرة ايطاليا باجمعها ليتسنى له الاستيلاء على فرانسا وممالك اوروبا لولا ان عاجلته المنية سنة ١٤٨١ م فكانت الدولة العلية العثمانية خطراً عظيماً على استقلال الدول الاوربية وكان هذا السلطان يهددها

صباح مساء بفتحها واغتصاب تيجانها فرجفت ملوك اوروبا وقبضت الدولة العثمانية على مفاتيح البحار واصبحت لها السيادة البحرية في جمهوريتي جنوا والبندقية

سليمان القانوني

السلطان سليمان القانوني الغازي

لا ريب ان السلطان سليمان كان اعظم سلاطين الدولة العلية العثمانية اذ بلغت في عهده ذروة من المجد والعظمة لم تبلغها قبله ولا

بعده فاصبحت قائدة البر وسيدة البحر يرتعب لذكر اسمها ملوك اوربا خصوصاً والعالم قاطبة فلما رأى هذا السلطان القدير اختلال الامور الادارية في بلاده لاستقلال اسلافه بالحروب الخارجية صرف سنتين وهو يرتب قانوناً عادلاً لسائر رعاياه يضمن به حقوقهم ويرفع نير الظلم والاسترقاق فلقب بالقانوني ويلقبه كتبة الافرنج بالكبير لعظمته واتساع سلطانه ويلقبه مؤرخو الدول بصاحب القرن لاتفاق ولادته اول القرن العاشر للهجرة ويدعونه صاحب الكمالات العشرة اشارة لحسن اخلاقه

ومن غريب زمانه ان تفرد بمعاصرة الملوك العظام في ممالك اوروبا وآسيا فقد كان على مملكة فرنسا الملك فرنسيس الاول محيي غرس المعارف وعلى سرير اسبانيا وجرمانيا الملك العظيم الشأن شرلكان الذائع الصيت وعلى انجلترا الملك هنري الثامن صاحب الاصلاح العظيم وعلى كرسي رومية البابا ليون العاشر وعلى بولونيا الملك سجسمون الاول وعلى الفرس شاه اسماعيل وعلى الهند شاه اكبر وكان القيصر واسيلي فاتح ستراخان يؤسس الدولة الروسية العظمى واما السلطان سليمان فكان اشد بطشاً وارفع مناراً من جميع هؤلاء

واستهل السلطان حكمه بإخماد ثورة المماليك وقتل المهيجين من عسكر الانكشارية التي عاثت في الارض فساداً ولما لم ينفع فيها التأديب والقتل فكر السلطان في خلق الحروب ليسرحها اليها ويزيح الدولة من دسائسها واطماعها الدنيئة ففي سنة ١٥٢١ م ابتدأت الحرب الاولى بين الدولة العلية العثمانية والبلاد المجرية وسببها ان ملك المجر اهان

سفراء السلطان وسبهم عياناً فلم يتكلف السلطان سليمان اقل عناء في ارسال الجيوش تلو الجيوش لمعاقبته وكانت مدربة جهزها والده السلطان سليم الاول لهذا الغرض بعينه فانقضت كالصاعقة واختطفت ارواح الجنود المجرية ومن ثم اضيفت العاصمة المجرية الى البلاد العثمانية وفي سنة ١٥٢٢ م سير السلطان اسطوله العظيم لحصار جزيرة رودس وذلك لانها كانت خطراً على سياسة الدولة لدسائسها فضلاً عن كونها الولاية المسيحية الوحيدة في المياه العثمانية فبعد حصار شديد انتصرت الجيوش السلطانية المظفرة فطردت منها رهبنة القديس حنا الاورشليمي

فكانت هذه الانتصارات الباهرة داعية الى اتفاق البندقية على دفع الجزية الى السلطان سليمان وتنازلت عن جزيرتي قبرص وكريت

وفي سنة ١٥٢٦ م ابتدأت الحرب المجرية الثانية وكان الداعي اليها رغبة السلطان في اخماد ثورة الانكشارية من جهة وتحريض فرنسوا الاول ملك فرنسا وحليف الدولة العلية العثمانية على الاستيلاء على المجر من جهة اخرى . وقد انتصرت الجنود الشاهانية على الجنود المجرية وقتلت لويس الثاني المجري في واقعة وادي موهاكس وكان السلطان سليمان يقود الجيوش العثمانية بنفسه البالغ عددها ١٠٠٠٠٠ مقاتل فتوغل فاتحاً قاهراً حتى وصل مدينة بودابست وبعدئذ انتخب السلطان امير برسلفانيا المدعو (زابولايا) ملكاً على بلاد المجر تحت سيادته

ولم تطل مدة زابولايا حتى تم شرلكان عليه بدعوى اختلاسه الحكم وبعث اخاه فرديناند ملك اوستريا ليحكم مكانه فاستنجد زابولايا

بالسلطان فحمل هذه المرة ٢٥٠٣٠٠ مدافعاً وقهر فرديناند واعاد الحكومة لزبوليا وتوغل في اوروبا قاصداً فينا عاصمة النمسا حتى نصب فسطاطه امام اسوارها في ٢٧ سبتمبر ولم تكن حامية المدينة تزيد على ١٧ الفاً ولكنهم صمموا على الدفاع الشديد فهاجم العثمانيون المدينة اولا وثانياً فهدموا من اسوارها جانباً واظهر السلطان وقواده في الجهة الثالثة بسالة لم يسبق لها مثيل ولكن المدينة امتنعت عليهم لانضمام انصار لوتر واتباع البابا الى الجيش النمساوي متناسين الاحقاد الدينية لينقذوا عاصمة امبراطوريتهم فتخلى السلطان عنها حقنا للدماء واستمرت الحرب بين النمساويين والعثمانيين حتى سنة ١٥٣٣ حيث ابرمت معاهدة الصلح فتركت بمقتضاها بلاد المجر تحت سيادة الدولة العثمانية . ولقد ظلت الحروب منذ سنة ١٥٤١ حتى سنة ١٥٦٦ بين الاتراك واهل المجر لسعي الاخيرين في نيل استقلالهم الذي لا تعادله قيمة وقبل ذلك في سنة ١٥٣٤ احتل العثمانيون مدينة (ميزيز) ببلاد العجم وعسكرت بها حامية عثمانية وفي اثناء رجوع السلطان سليمان من تبريز اخضع وزيره ابراهيم باشا مدينة بغداد

وبذلك تم النصر على شاه العجم (طهماسب) ثم ان خير الدين باشا الملقب بياروسه عند الافرنج امير البحرية العثمانية وطرغول استوليا على بلاد الجزائر وتونس واضافاها الى بلاد السلطنة العثمانية وفي سنة ١٥٤٣ احتل خير الدين باشا سواحل صقلية وافتتح نيس بجنوب المملكة الفرنسية وفي عام ١٥٣٨ م امر الخليفة العثماني عاملة

على مصر بفتح بلاد اليمن وعدن فنفذ الامر واضاف اليها سائر المحطات البرتغالية التجارية الواقعة على سواحل البلاد العربية واستمر هذا السلطان الغازي ربع قرن يقمع ثورات حجرية وينشر النفوذ الاسلامي حتى ادركته المنية عام ١٥٦٦ م وهو يحاصر قلعة (الزيجات) وقد كتموا امر موته ثلاثة اسابيع حتى فتحوا القلعة ووصل السلطان سليم الثاني واستلم القيادة ونقل جثة والده الى الاستانة

وكان السلطان سليمان اسمر اللون واسع الجبهة عبوس الوجه عالي الهمة نادر المثال بالحزم والنشاط والحكمة وكان له حظ من العدد عشرة بنوع خاص فانه ولد في اول القرن العاشر وهو عاشر سلاطين آل عثمان واحد الملوك العشرة المعاصرين وولد له عشرة اولاد واستوزر عشرة وزراء ولقبوه بصاحب الكمالات العشر

وهو آخر من قاد جيوشه بنفسه من سلاطين آل عثمان لانهم تقاعدوا بعده عن الذهاب الى الحروب تاركين قيادة الجند الى قوادهم والسلطان سليم الثاني ابن السلطان سليمان اول من انغمس في الترف والف الاقامة في القصور وامسك عن الحروب

وقد امتاز عصر السلطان سليمان باكتشاف العالم الجديد (امريكا) وطريق رأس الرجاء الصالح وظهور عصر الاصلاح ونبوغ مرتين لوثر زعيم طائفة الانجيليين

بطلا الطيران العثماني

قام هذان البطلان باكبر سياحة هوائية وهي من الاستانة العلية الى القاهرة بعد ان فشل فيها بعض طياري فرنسا وبعد ما ذهب ثلاثة من ابطال الطيران العثماني ضحية هذه السياحة اما هما فقد نجحا نجاحاً يرفع من شأن تاريخ الطيران العثماني وقد فوبلا بما يستحقاه من الحفاوة والاكرام في جميع البلاد العثمانية

سالم بك　　كمال بك